ما لا تعرفه عن الهجرة

عبد الجواد السيوطي

فكر

ما لا تعرفه عن الهجرة
فكر
عبد الجواد السيوطي

إصدار: ديسمبر ٢٠١٧

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٦٤٨٠ / ٢٠١٧

الغلاف والإخراج الفني:
دار لوتس للنشر الحر

مشروع النشر الحر
رقم الإصدار: (٢٧)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأية طريقة دون موافقة المؤلف أو دار النشر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر

منشورات دار لوتس للنشر الحر
شركة لوتس للإنتاج والتوزيع
القاهرة الكبرى:
١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول شارع فيصل بجوار محطة مترو فيصل
هاتف: ٠١٠٩١٩٨٥٨٠٩ – ٠١١١٦٣٨٩٣٤٧
الإسكندرية:
٦ شارع بن دينار – محرم بك – امبروزو
هاتف: ٠١٠٦٨٦٣٨٣٧٧
المغرب: الدار البيضاء
٢٧٠ زنقة ١٦ – حي البركة – مولاي رشيد
هاتف: ٠٦٦٤٣٩١٢٦١

مشروع النشر الحر
أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق، والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده في عملية تجارية.

للتواصل مع الدار والمشروع
هاتف / واتس آب:
+2 01116389347 - +2 01091985809
الموقع الإلكتروني:
www.lotusfreepub.com
البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com
حساب فيسبوك
www.facebook.com/lotusfreepub1
صفحة فيسبوك
www.facebook.com/lotusfreepub

راجع الكتاب وقدمه له

الكاتب الإسلامي الكبير

الأستاذ/ محمد عبد الله السمان

الأستاذ/ أشرف محمد إبراهيم عويدات

إهداء

إلى الشعوب الإسلامية المظلومة التي يتحكم فيها الطُّغَاة الظالمون.
إلى كلّ مَن يريد أن يتعرف على التخطيط المحكم في حياة الرسول.
إلى كل الدعاة المخلصين في كل مكان.
إلى كل مَن يريد فصل الدين عن السياسة.

إلى والدي ـ رحمه الله ـ ووالدتي الذَين تعبا كثيراً من أجلي.
إلى زوجتي وأولادي وأخي الذين ضحّوا براحتهم لأجل راحتي.
إلى كلّ أساتذتي الذين تعلمت منهم الكثير والكثير ولهم الفضل
عَلَيّ بعد الله

شكر

(لا شكر الله من لم يشكر الناس)

أشكر ـ بعد الله ـ أساتذتي وأحبابي الذين تعلمت منهم
الكثير والكثير.

«لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (يوسف:١١١)

في البداية:

نصر الله قريب، ووعده سيتحقَّق.

نورٌ من القرآن الكريم:

قال تعالى: «..فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (الأعراف:١٧٦)

وقال جل وعلا: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٣٩)

قبس من السنة المطهرة.

قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم

من الشعر العربي:

وأجمل منك لم تر قط عيني وأفضل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرءا من كل عيبٍ كأنك قد خلقت كما تشاء

كلام من نور:

قال علي بن الحسن: (كنا نُعلَّم مغازي النبي ﷺ كما نُعلَّم السورة من القرآن).

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: (كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ يعدها علينا ويقول هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها).

تقديم أول

بقلم الكاتب الإسلامي الكبير
الأستاذ/ محمد عبدالله السمان

لا جدال في أن الهجرة النبوية – على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تسليم – تمثل مرحلة من أهم مراحل الدولة الإسلامية وأخطرها في مرحلة انتقالية لإثبات وجودها سياسياً وعقائدياً، فالمرحلة المكية على مدار ثلاثة عشر عاماً، كانت لإثبات العقيدة بها وتثبيتها في أذهان أتباعها، من ناحية — ومن ناحية أخرى – لتعرية حقيقة الجاهلية – وبضدها تعرف الأشياء كما يقولون.

أضف إلى ذلك: أن المرحلة المكية، كان لابد منها، لصقل إيمان أتباعها، ليكونوا نواة المستقبل للدولة الإسلامية، وكانت توجيهات القرآن، وتوجيهات الرسول ﷺ للنواة من أتباع الدعوة، تقوم على اساس الثقة في الله – عز وجل – والتضحية في مواجهة ما يلحقهم من أذى بالغا ما بلغ من الضراوة والشراسة، ولعلنا نلتمس ذلك من مواقف لا نكاد نحصيها، حيث كان رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – يمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول لهم «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» واستجابوا وكانت أم عمار أول شهيد في الإسلام وفي صحيح البخاري عن خباب بن الآرت رضى الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة — فقلنا: «ألا

تستنصر لنا؟ ألا تدعوا لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض فيجعل فيها.. ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على أرسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليُتِمّنّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

إن إرادة الله عز وجل اقتضت أن يكون الإسلام: ديناً، يصحح مسار العقول التى حادت عن الطريق السوى، ويصحح مسار الحياة البشرية التى شملت الفوضى، بعد أن تحولت إلى غابة شاسعة يفترس القوي فيها الضعيف، وأن يكون الإسلام دولة تقيم العدل بعد أن اختلت موازينه، وتؤازر الحق، بعد أن أصبح مضغة في أفواه الباطل، فالعالم يومئذٍ تحكمه إمبراطوريتان، إحداهما صليبية تنَكّبت مبادئ المسيحية، والأخرى وثنية تمتهن العقل، أعني إمبراطوريتي: فارس والروم، وبذلك يكون الإسلام بدولته ضرورة لإنقاذ البشرية من الوَحل، وكانت الهجرة النبوية هي البداية لإقامة دولته.

يرى الشيخ محمود شلتوت — شيخ الأزهر السابق- في دراسته: «الإسلام والوجود الدولي للمسلمين» العدد الثالث من «سلسلة الثقافة الإسلامية» التى كنت أصدرها (١٩٥٨- ١٩٦٥م)؛ أن حادثة الهجرة كانت نقطة تحول في تاريخ البناء الإسلامي، لتقوم فوق الأرض الجديدة — يثرب — دولة ذات منهج ونظام وهدف، والهجرة من الأحداث الفذة الفريدة التى كانت تمهيداً لتثبيت

البناء الإسلامي، وميلاد دولة داخل إطار من القوة، وبذلك أصبحت (الهجرة) من الأحداث الإسلامية الكبرى، التى يجب أن تحمل العظمة في نفس كل مسلم».

ويضيف الشيخ: «وقد عنى المؤرخون كثيراً – وهم يتكلمون على هذا الحادث – بذكر حوادث الإيذاء التي كانت تتصل بالرسول وأصحابه الذين لبوا دعوته ومن هنا ألبسه أرباب الهوى الخاص –وهم يكتبون سيرة (النبي العربي) ثوب الفرار وعدم الصبر والاحتمال في القيام برسالته، ولم يتورعوا – إمعاناً فيما يشتهون– أن يطلقوا عليه كلمة (النبي الفار) وقد ظنوا أن هذا الثوب المهلهل الذي خلفوه على هذا الحادث العظيم، يستطيع أن يستر الحقيقة التي يحملها بين جنبيه، والتي لم تلبث —بعد الوصول إلى المدينة– أن سطع نورها، وانتشر أريجها، وبدأت الغشاوة التى وضعها الجهل على العقل البشري حيناً من الدهر، والواقع أن هذه الهجرة (البدنية) لم تكن إلا أثراً من آثار هجرة القلوب، عما كان عليه القوم من عقائد فاسدة، وشرائع باطلة وعقائد وتقاليد، كان لها في هدم الإنسانية، ما ليس للمعاول القوية في تقويض البناء الشامخ العتيد»

وأقول: إن الهجرة كانت لتأكيد الإسلام، وهي حقيقة حاول بعض المستشرقين ذوي الأهواء أن يطمسوها، متجاهلين ما أقره القرآن– كتاب الله– الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مخلفه تنزيل من حكيم حميد– وقد تصدى عملاق الأدب الأستاذ العقاد– لهذه الشرذمة في كتابه «الإسلام دعوة عالمية» التى

استندت إلى قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» (الشورى:٧)

يقول: «وأيا كان القول في اللغة التي تكلم بها النبي ﷺ، وفي صلاح هذه اللغة للدعوة العالمية، فإن النوع الإنساني يشمل أم القرى (مكة) وما حولها، ولا تعتبر هداية أهلها عزلاً لهم عمن يتحداهم من الناس، إذا كان خطاب الناس كافة يمنع أن يكون الخطاب مقصوراً على (أم القرى) ومن حولها، ولكن خطاب (أم القرى) ومن حولها لا يمنع أن يعم الناس أجمعين.. فكيف يسيغ العقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية- خاتم النبيين- إذا كانت رسالته مقصورة على قوم لم يأتهم من قبل نذير؟؟ إن طائفة من المستشرقين تسبغ ما لا يسبغه العقل في أمر القرآن وأمر الإسلام».

بين يدي القارئ، للشيخ عبدالجواد عبدالمولى السيوطي: الإمام والخطيب والمدرس بالأوقاف كتاب يحمل عنوان: «ما لا تعرفه عن الهجرة قيم تربوية» أشار في المقدمة إلى أن ما أراده من كتابه: دعوة للتفكير والتدبر، لبعض صفحات التاريخ الإسلامي وبخاصة تاريخ الرسول ﷺ وجهاده في هجرته، لنتعرف على سنن الله في خلقه، وسننه في أرضه، وسنن الله الثابتة لا تقبل تبديلاً ولا تحويلاً، والهجرة تبين لنا كيف أخذ المصطفى ﷺ بالأسباب الأرضية، وتوكل- في نفس الوقت- على الله، ولا تضاد بينهما وقد تفاعل سلف هذه الأمة مع السنن الكونية، فسادوا العالم،

ولم يَعِ الخلف هذا المعنى مما جعل الأمة اليوم في حال يرثى لها..
ومما عرض له المؤلف: أن الهجرة النبوية المحمدية لم تكن بدعة، بل سنة قديمة، فقد هاجر من أنبياء الله: إبراهيم ولوط وموسى عليهم السلام.
من أسباب الهجرة: ذكر المؤلف الأسباب التقليدية التى سجلتها كتب السيرة، وكنت أود أن يهتم بمسألة ذات أهمية خاصة، وهي أن الهجرة كانت استجابة لأمر الله، ولم تكن مجرد خاطرة خطرت على بال الرسول ﷺ فراراً من الأذى، فالله – عز وجل– وهو الذي قدر، بعد أن حققت الدعوة أهدافها في مكة التى لم تكن تصلح لإقامة دولة.
بين الكاتب أن من عوامل نجاح الهجرة: وضوح الهدف، براعة التخطيط، اختيار الوقت المناسب، ولعامل التوقيت أهمية متنامية في عملية التخطيط، القدرة على مواجهة الظروف المتغيرة، إخلاص القائمين على التنفيذ، التهيئة والإعداد النفسي.
كما ذكر الكاتب أن من مظاهر نجاح الهجرة: خسرت قريش موازين القوى التي توارثتها على مدى قرون وزال عنها سلطانها، لم تعد قريش حاجزاً في وجه الدعوة الإسلامية: إذ أسقطت الهجرة هيبتها من نفوس المستضعفين والخائفين سلفاً.
ذكر المؤلف في شجاعة أن الكتاب: جمع وإعداد، وليس تأليفاً خالصاً، وهذا يعفيه من النقد، لكن يُحمد له أن قدم لنا معاني كانت في حاجة إلى التحقيق الذي خلت منه بعض كتب التراث التى اهتمت بسرد الأحداث، لكنها حفظت لنا أهم حدث في

تاريخ الدعوة الإسلامية أن الهجرة حفلت بالكثير من المؤلفات عدا ما دونته كتب السيرة قديما وحديثا، وهذا ما جعل مهمة من يكتب عن الهجرة شاقة، إذ لابد من أن يضيف جديداً ونجح المؤلف في ذلك جهد استطاعته.

ويؤخذ على هذه الدراسة: أن المؤلف خرج على الموضوع الأساسي أحيانا، صحيح أن ما زاده تضمن معاني جديرة بالاهتمام، لكن كنا نود أن يربط الهجرة النبوية بالمعاصرة، فقد أصبحت الأمة المسلمة التى أرادها الله خير أمة أخرجت للناس عاجزة حتى عن الدفاع في مواجهة التحديات الشرسة، وذيلا بعد أن كانت رأس، وتابعا بعد أن كانت متبوعاً.

وبقي أن نقول: إن المؤلف بذل جهداً كبيراً وشاقاً، وقدم لنا دراسة قيمة يحتاجها الشباب قبل الشيوخ.

وهناك سؤال يطرح نفسه: وفي أسىً مرير: أين نحن اليوم من الهجرة التى لم تكن نقطة تحول في تاريخ دعوة الإسلام وحسب بل كذلك أرادها الله – عز وجل – منهجا ومعنى وبرنامج عمل للمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودرسا يجب أن يعين المسلم في كل زمان ومكان... فهل يليق بنا أن لا نذكر الهجرة إلا أياما معدودات في كل عام: أحاديث ومقالات يغلب عليها التكرار شبه الممل ثم ننساها بعد ذلك.

وحسبنا هنا أن نتوقف عند قضية لها أهميتها، أعنى قضية أو محنة الأقليات المسلمة في شتى بقاع المعمورة، والعديد من هذه الأقليات تُشَنُّ عليها حروب إبادة شرسة، كما في الفلبين وبورما

وتايلاند وغيرها، إن الله تعالى كتب علينا الجهاد من أجل إخوة لنا في العقيدة مستضعفين في الأرض، «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا» (النساء:٧٥) ولا جدال في أن الجهاد هنا فرض عين لا فرض كفاية، وإذا كان عِقد الأمة الإسلامية اليوم انفرط، ولم يكن للدولة الإسلامية وجود، صرنا نحمل السلاح لا لنقاتل به الأعداء، بل ليقاتل به المسلم أخاه المسلم دونما اعتبار لتحذير الرسول ﷺ لنا في خطبة حجة الوداع، ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقوله في الحديث الصحيح المتفق عليه: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه.

أقول إذا كنا عاجزين عن الجهاد المسَلّح، فلماذا لا نلجأ إلى سلاح آخر أعني جهاد المقاطعة، وهو سلاح له خطورته، وإذا كان هذا السلاح تقرر بالنسبة للثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك وهم مسلمون، فمن باب أولى المعتدون على إخواننا من غير المسلمين والفاجعة التي ترتج لها السماوات السبع هي أننا أصبحنا أصدقاء لأعدائنا، نمنحهم الولاء ضاربين عرض الحائط بقوله تعالى مُحَذّرا في سورة المائدة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»

وأخيراً وليس آخراً: فليتنا نعى اليوم كلمات للشيخ شلتوت – رحمه الله – كانت الهجرة من بين الأحداث كلها جديرة أن تتجه إليها الأنظار، ويتخذ منها مبدأ للتاريخ الإسلامي، ليكون للمسلمين من ذكراها في كل عام، ومن التوقيت بها في مكاتباتهم وعقودهم وأحداثهم العامة والخاصة درس متصل الحلقات يساير حياتهم كلها.

تقديم ثانٍ

بقلم الكاتب الإسلامي

الأستاذ/ أشرف محمد إبراهيم عويدات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد

فإن الهجرة النبوية تُعَدُّ نقطة تحوُّل فاصلة؛؛هي ميلاد فجر دولةٍ مُمَكنة تتصل بربها لتقوم على تحقيق الأُسس والأحكام التي هي مراد الله تعالى في خطابه للمكلفين، وقد كانت كذلك؛؛؛ ولكن الأمة سرعان ما تخلت عن دورها. ولن ينصلح حالها في هذا الزمان إلّا بما صلح به أولها برجوعها إلى المنبعين الصافيين الكتاب والسنة.

– وقد جاء هذا الكتاب(ما لا تعرفه عن الهجرة قيم تربوية) للأخ عبد الجواد أحمد السيوطي. والأمة أحوج ما تكون إلى إعادة النظر في سيرة رسولها ﷺ وسيرة أصحابه الكرام، ومن ثم إنزال مواقفهم على واقعنا المعاصر.

– وهذا جهد بشري يقرب لنا الأحداث تشعرك عندما تقرأها كأنك تراها وتعيش فيها. وقد أجاد الكاتب غي عرضها بسهولةٍ ويُسر وقرّب إلى القارئ مضامينها، وجدد في قلوبنا الأمل في عودة الماضي المجيد.

– أعلمُ أنه لن يخلو أي عمل بَشَريّ من من تعليق أو نقص قد

لا يهدم العمل ولا ينقضه. لكن أرجو من الله ـ تعالى ـ أن يزيد هذا العمل للمكتبة الإسلامية فكراً وعمقاً في الفكر والتصور الإسلامي.

– وأخيراً الله أسأل أن ينفع الأمة الإسلامية بهذا العمل وهذا الجهد، وأن يُمَكِّن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا، وأن يُمتّعنا بالحياة في ظلّ دولةٍ تحكم بشرع الله وأن يَعُمّ شرع الله أرض الله. عندها يفرح المؤمنون بنصر الله، ويشعر أعداء الله بأن الإسلام ـ حقيقة ـ للعالمين،لعلّ ذلك يكون سبباً في النجاة من سخط الله والفوز برحمته إنه وليُّ ذلك والقادر عليه؛؛؛ آمين... آمين.

مقدمة المؤلف

منذ سنوات وأنا أراقب عن كثب أحوال الأمة الإسلامية التي لا تَسُرّ أحد ـ اللهمّ إلّا الأعداء ـ أننا قد نسينا أوتناسينا أن الله أراد بهذه الأمة أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

نسينا هذا وتحولنا إلى ما نحن فيه من تدهورٍ سياسيٍ وأخلاقيٍ وتربويٍ، والعلّة في ذلك أننا فرَّطنا في جنب الله وانحرفنا عن منهجه، ولو أننا التزمنا المنهج الرباني لحققنا قول الله تعالى: « كنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..» (آل عمران: ١١٠) ولم أكن ـ ولا غيري ـ في حاجة إلى جهد لكي نتعرف على ما فينا من عِلل، إذ أن الأمة الإسلامية اليوم لم تَعُد تهتم بالتربية الإسلامية المنشودة، والتي تضمنها كتاب الله عز وجل وأحاديث نبيه ﷺ وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين إلّا مَن رحم ربي.

والحق أن أحداث الهجرة النبوية تعتبر مرجعا عظيما للتربية الإسلامية بشتى ألوانها، وهذه التربية كانت العامل الأساسي في نجاح الهجرة، ومن قبلها نجاح الدعوة في مكة ففي هذه الأحداث نجد الثقة بالله أنبتت التضحية والبذل والفدائية والأمل المعقود في نصر الله لأوليائه..

الهجرة أيها المسلمون كانت بأمر الله عز وجل وتوجيهاته، وظل

الرسول ﷺ أيّاماً وأيّاما ليتلقى الأمر بالهجرة التي تاقت نفسه إليها.

إن الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة لم تكن اعتباطا أو لمجرد فرار الأقلية المسلمة المستضعفة بدينها، ولكن هناك ما هو أسمى وأغلى، ألاوهو نيل رضا الله تبارك وتعالى وكذلك لأن يتعود المسلمون الأوائل على التمرس لما سيكون بعد ذلك..

لماذا اخترت الحديث عن القيم التربوية من خلال حادثة الهجرة النبوية؟ يرجع ذلك لأسباب منها:

١- أردت دعوة المسلمين اليوم إلى التفكُّر والتدبر لبعض صفحات التاريخ الإسلامي بصفحاته المضيئة، كالهجرة النبوية، لكي يتعرفوا على سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير ولا تُحابي أحداً مهما كان.

٢- من الجدير بالذكر أن الهجرة تبين لنا الرابط بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، ومرونة الإسلام حين ترى أن النبي ﷺ استعان بمشرك ليكون دليله في مسيرة الهجرة، وهذا مما ينفي عن الإسلام التعصب الذي تُهم به من قِبَل البعض، وفي نفس الوقت نعرف أن ديننا يحثنا على تقديم الكفاءة على غيرها.

٣- النظر في تاريخ الإسلام وبخاصة سيرة النبي ﷺ يجعلنا كأننا ننظر في المستقبل، فإذا ما قرأنا موضوعا كالهجرة نكون علمنا بأن الله قد حدد لنا العواقب المترتبة على الأحداث، والمؤمن الناجح

يعرف أن النبي وأصحابه تعاملوا مع سنن الله الكونية، حتى يسود المسلمون العالم كما ساده الأولون...

٤ – أن الإنسان يحتاج دائما إلى التذكير بشئون دينه ودنياه ليعمل جاهداً بدَأب وَهِمّة عالية، لكي يصل إلى هدفه الذي خلقه الله من أجله.

والله من وراء القصد،،

أبو محمود عبدالجواد أحمد السيوطي
أسيوط – ديروط – نجع سويلم

الهجرة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما اقبل النبي ﷺ إلى المدينة، وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرف، ونبي الله لا يُعرف قال: فيلقي الرجل أبا بكر رضى الله عنه، فيقول يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك؟ فيقول هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله: (هذا فارس قد لحق بنا) فالتفت نبي الله ﷺ فقال: اللهم أصرعه فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال: (يا نبي الله مرني بما شئت) فقال: فقف مكانك لا تتْرُكَنّ أحداً يلحق بنا فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له»رواه البخاري وغيره.

لم تكن الهجرة من مكة إلى المدينة مجرد رحلة انتقل بها ﷺ من بلد إلى بلد، ولكنها خُطة وفكرة غيرت مجرى التاريخ، بل ورسمت للحياة وجها جديداً، وبها فرق الله بين الحق والباطل، فكل خطوة من خطوات الهجرة تعتبر مَعْلماً واضحاً على طريق النضال والجهاد في سبيل المبادئ الإسلامية خاصة والإنسانية عامة، والمُثُل العُليا، وأحداثها الجليلة منار هدى لعشاق الفضيلة والباحثين عن مكارم الأخلاق، ولقد كانت وقائع الهجرة تجري

بعين الله تعالى وتتم خطواتها في حراسة السماء، وكان المهاجر العظيم ﷺ معصوماً من كل سوء ورَدى، أنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم ترها العين، فقد أجمعت قريش أمرها على قتل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وذلك بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً فيضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه بين القبائل، وفي الليلة التي اعتزموا فيها تنفيذ مؤامراتهم، أتاه جبريل – عليه السلام – فقال: له لا تَبِت على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فأسرّ ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب بهذا السّر الخطير لما يعلم من شهامته وشجاعته، وحبه لله ولرسوله، أسَرّ له النبيّ أن يتسجى (يتغطى) ببردته الحضرمية الخضراء، وأن ينام على فراشه، وكان ﷺ ينام في بردته تلك إذا نام، وقال: له: «إنه لن يُخلَصَ إليك بشيء تكرهه منهم».

ثم خرج الرسول الكريم ﷺ وأخذ الله أبصار الأعداء فلم يروه ثم اتجهﷺ وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور، وخرج القوم يبحثون عنهما في كل اتجاه حتى وصلا إلى الغار، وأحاطوا به فلما شعر أبو بكر بدنو الباحثين، رأى أقدامهم تخفق على باب الغار، قال: للرسول ﷺ هامساً: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا» فأجابه الرسول في إيمانٍ بالله وثقة بوعده «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ وبهذه العناية عصم الله نبيه، فمن الذي أخذ بأبصار المشركين فلم ينظروا تحت أرجلهم ولو فعلوا لرأوا طلبتهم المنشودة؟!! ومن الذي جعلهم لا يتقدمون نحو فم الغار؟ ومن

الذي صرفهم عن الغار وقد هَمّ بعضُهم بدخوله؟إنها عناية الله[1].

ومن المواقف الخالدة التي يزدحم بها طريق المهاجر العظيم، أن التقى بهذا الموكب المهيب، رجلٌ من المشركين، يَعرف أبا بكر،ولا يعرف الرسول ﷺ وكان أبو بكر معروفا لأهل الجهات لتردده في التجارة بخلاف النبي، فقال: الرجل لأبي بكر: من هذا الذي معك؟ ولم يشأ أبو بكر أن يُخبر بغير الصدق، أو يسمي الرسول بغير اسمه، فأخذ بالتورية أو المعاريض، وذلك تَرَفُّعاً عن الكذب، وتَنَزُّهَاً عن مخالطته أدنى مغالطة، وتحاشياً عن الوقوع فيه ولو في أبسط صورة قد تُمليهَا المصلحة العامة، فقال: هذا هادٍ يهديني السبيل!، ومن هذا الحوار الذكي من أبي بكر الصّديق، فَهِم السائل أن المصاحب لأبي بكر، دليلٌ ماهر، يجيد التعرف على مسالك الصحراء ودروبها، بينما يقصد أبو بكر أنه ﷺ يهديه سبيل الرُشد والفلاح وتلك هي المعاريض التي أرشد إليها الإسلام ليتحصن بها المسلم من الوقوع في الكذب إن اضطُرّ المرءُ لذلك، وفي الأثر عن عمر بن الخطاب وعمران بن الحصين «إن في المعاريض ما يغني عن الكذب»[2].

(١) مجلة الوعي الإسلامي ص ٧ عدد ١٢١ سنة ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م.

(٢) رواه البيهقي في السنة.

دقة التخطيط

وقد أوى ﷺ إلى غار «ثور» ومعه صاحبه أبو بكر استعداداً للهجرة، أمّا مشركوا مكة فهم يبحثون عنهما في كل فج، ويترصدون لهما كل طريق، ولما داخلهم اليأس من العثور عليهما، قفلوا راجعين، يتجرعون مرارة الخيبة وقسوة الحرمان! فمكث ﷺ في الغار ثلاث ليال، ثم استأنف المهاجران العظيمان رحلتهما الشاقة في أرجاء الصحراء المترامية، ولم يَسلُكا الطريق المألوف متجهين إلى الشمال حيث المهجر، بل سار الركب منحدراً إلى الجنوب أسفل مكة، موالياً شطر اليمين، ثم هو يتجه إلى تِهامة، حتى يقترب من شاطئ البحر الأحمر، ثم يتجه شمالاً في محاذاة الساحل، ثم يوغل في الصحراء صوب يثرب، كل ذلك أخذا للحذر وصرفاً للأنظار، وتعميةً على الباحثين الطالبين من المشركين، والأهم من ذلك والأعظم أنّ هذا إنما هو تشريعٌ لنا في كلّ زمانٍ ومكان، لنتعلم كيفية الأخذ بالأسباب المادّية مع حسن التوكل على الله، غير أن المشركين وقد شَقّ على نفوسهم أن تبُوءَ محاولتهم بالفشل، لجأوا إلى المكافأة السَّخِيّة، يبذلونها لمن يقبض على المهاجِرَين الكَرِيمين، ومعناه أن مَن قتَلَهما أو أَسَرَهُما مَعَاً كان له مائتان من البعير، وتلك مكافأةً مُغرِيَة تجلب لها أشداق الطامعين، وتحملهم على اقتحام المخاطر للظفر بها، وفي هذا ما فيه من استنهاضٍ للهِمَم لِتَجِدّ في البحث والطَّلب لتظفر بالغنيمة المرصودة، وكان ﷺ يعلم

أن الأعداء سيتعقبونه في كل مكان يُتوقع أن يكون مهرَباً للنبيّ وصاحبه، فالتزم في سيره جهة الساحل، وسلك طريقا غير مألوفٍ للقوافل والمارّة، ومر في طريقه على «حي بن مُدلج» وهناك رآه رجل منهم فمضى إلى مكة يذيع الخبر يقول سراقة بن مالك بن جُعشم المدْلجي: «بينما أنا جالس في مجالس بني مُدلجَ «بقرير» مكان قريب من (محافظة رابغ الآن) إذ جاءتنا رُسُل من قريش، يُجعِلُون ـ يرصدون أموالاً. في محمد وأبي بكر دية كل واحد منهما وهي مائة ناقة لمن قتله أو أسره، ثم أقبل رجلٌ من عشيرتي فقال رأيت أسودة أي أشخاصاً بالسواحل، أراهم محمداً وأصحابه، فعرفت أنهم هم فأومأت إليه يعني أن اسكت، ثم قلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا في طلبٍ لهم، قال: لعله كما تقول ثم سكت فمكثت قليلاً، ثم قمت فدخلت منزلي، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي خِفيَة إلى بطن الوادي وتحبسها على، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، وحاول سراقة في مغامرته أن يبالغ في إخفاء أمره على الناس، حتى لا ينكشف سره، فيتبعه أحد، فيشاركه في قتلهما أو أسرهما، فخرج من بابٍ خلفي يأخذ طريقه نحو فرسه الذي قد أعده في مكان بعيد، وحين أمسك برمحه، لم يجعله قائماً في يده لئلا يظهر بريقه لمن بَعُد عنه، بل خفض عاليه وجعل يخط بزجه في الأرض ومضى يجره وراءه، حتى وصل إلى فرسه فركبها، كلُّ ذلك مبالغة في الإحتياط لنفسه حتى لا يعلم به أحد، ثم انطلق بها وهي تنهب الأرض نهباً، يدفعها غرور صاحبها الذي كانت تساوره الأحلام

في إدراك الغنيمة والظفر بالأجر، وفجأة عثرت به فرسه، فألقت به على الأرض، فنهض كالمحموم وهو يقول: ما هذا! ثم أخرج قِداحه يستقسم بها، ليستكشف من أنبائها حُجُبَ الغيب، فيرى ماذا يُخَبِّئ له المستقبل؟ . كما كانوا يدّعون . فخرج السهم الذي يَكْرَه، فأبى إلّا أن يمضي في طريقه ولم يأخذ بالأزلام، ثم عاد إلى فرسه فركبها، وهو يحاول أن يجمع عزيمته المغلولة! ثم مضى حتى اقترب من الرسول الكريم وصاحبه الصديق.

وكان الرسول ﷺ مشغولا بقراءته ودعائه يسير إلى الأمام ولا يلتفت، وأبو بكر رضى الله عنه يكثر الالتفات حذراً من الطّلبِ وخوفاً على الرسول، فقال: يا رسول الله: «هذا فارس قد لحقنا» فقال: ﷺ «اللهم أكفناه بما شئت اللهم اصرعه، فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين، وتدحرج الفارس الجسور- سُراقة - على الأرض، وفرسه بجانبه يحمحم، يقول سراقة «فركبت في أثره فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض بل إنّه قيل إنها ساخت قدما فرسه في الصخر حتى بطنه إكراماً لهﷺ، وسقط سُراقة عنه، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار، يقول سُراقة فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنِعَ مني وأنه ظاهر.

نبوءة تتحقق

ولما وقع في نفس سراقة أن الرسول حق اعتذر إليه، وطلب الأمان منه، وصاح قائلا: أنا سراقة بن جُعشم انظروني أكلمكم، فوالله لا يأتيكم مني شئ تكرهونه فقال: ﷺ وأبو بكر «وما تبغي منا؟» قال: سراقة قلت يا محمد لقد فَعَلت قريشٌ كذا وكذا من أجلكما يعني ما رصدته من مالٍ لمن يأتي بهما . فقال النبيّ الواثق بربه لسراقة: لا يا سُراقة إن الله ناصري عليهم ومُظهرٌ أمره، فقال سُراقة يا محمد اصدُقني آالله ناصرك على هؤلاء جميعاً قال النبيّ نعم ياسُراقة، فقلت له: اكتب لي كتاب أمانٍ بهذا، وذلك ليأمن على نفسه وماله، لما رأي من ظهور أمر رسول الله، قال سراقة أوَ ناصرك الله على قريش والعرب جميعا، قال نعم: ثم قال له الرسول: كيف بك يا سُراقة إذا تسورت بِسُوارَي كسرى»؟ لم يصدق سراقة أذنيه وهو يتلقى هذا النبأ المذهل؛ فقال: يا محمد كسرى بن هرمز؟ قال: الرسول ﷺ نعم،فكرّرها ثلاثاً، والنبيّ في كلٍّ يقول له نعم كسرى بن هرمز، لقد أحس الرجل أن كيانه يوشك أن يذوب من هول ما يسمع وأنه لأمرٌ يدعو إلى العجب حقا، سراقة بن جُعشم، العربي البدوي الذي لا يجول بخاطره أن تواتيه لحظة في حياته، يستطيع فيها أن يقترب من ديوان كسرى، يُبَشَّر الآن بأنه سيلبس سواري كسرى الملك العظيم، الذي يركع الداخل عليه من أول البساط الموضوع على بعد مسافاتٍ كبيرة

حتى يصل إلى المكان الذي يجلسُ عليه كسرى ولا يرفع الداخل عليه رأسه حتى يقول له كسرى ارفع رأسك، سُراقة يُبَشّرُ بأنه يلبس سواري كسري، ومِمَن؟ من رجلٍ وحيد طريدٍ شريد، ولكن لماذا العجب؟ أليس الخبر خبر السماء؟ أليس من نبيّ يثق في موعود الله ويُبلغ عن الله سبحانه وتعالى؟ لكن الأعجب أن سراقة صدق ما قاله له النبي وطلب أن يكتب له بهذا كتاباً؛ لأنه الصادق الأمين، ثم عرض سراقة عليهما الزاد والمتاع، فلم يقبلا شيئا منه وقالا: لا حاجة لنا إلى زادك وطعامك، ولكن عَمّ عنا الطلب، فقال: قد كُفِيتُم! ثم قال الرسول لأبي بكر. رضى الله عنه — اكتب له كتاب يا أبا بكر.

فكتب له عامر بن فهيرة، كتابا في رقعة من أَدَم ثم ألقاه إليه، فأخذه فجعله في كنانته ثم رجع فوجد الناس جادين في البحث عنه وصاحبه، فجعل لا يَلقى أحدا من الناس يُقابله ويعلم أنه يريد النبي وصاحبه إلّا قال له: كُفيتم هذا الوجه، لقد اختبرت هذا الطريق فلم أجد أحداً»

ودارت الأيام وتحققت المعجزة. يقول سراقة: «لما كان فتح مكة على يد رسول الله ﷺ، وفرغ من حنين والطائف، خرجت ومعي الكتاب لألقاه، فلقيته بالجِعِرّانة[1] فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟ فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، فرفعت يدي

(١) بالجعرانة: بكسر الجيم وسكون العين بين الطائف ومكة: وهو إلى مكة أقرب. وقد نزلها صلى الله عليه سلم مرجعه من حنين لما قسم غنائم هوازن.

بالكتاب، وقلت يا رسول الله، هذا كتابك لي، أنا سراقة بن جعشم فقال: ﷺيوم وفاء وبر فدنوت منه وأسلمت..

وبعد أعوامٍ فُتحت بلاد فارس في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وجئ له بأموالها وبسواري كسرى وتاجه وبساطه، قال عمر بن الخطاب انظروا رجلاً طويلاً من المسلمين حتى نُلبِسَهُ ملابس كسرى حتى نرى كيف كان كسرى في ملكه وسلطانه، فبحثوا فلم يجدوا أحداً أطول من سراقة وكان يعمل في حقله فطلبوه، إن أمير المؤمنين عمر يريدك في حاجة، فأسرع سُراقة إلى عمر، فقال: إلبس يا سراقة هذه الكُسوة واجلس على هذا العرش فقام عمر وألبسه بيديه فلما لبس سُراقة سواري كسرى وتاجه ولباسه وجلس على العرش الذي كان يجلس عليه كسرى بكى سراقة، فقال له عمر مايُبكيك يا سُراقة في مثل هذا اليوم؟ قال: يا أمير المؤمنين لقد اتبعت الرسول وهو مهاجر إلى المدينة.. وحكى ماحدث له مع النبي وصاحبه أبو بكر الصديق وقد أعطاني بذلك كتابا وأخرج سراقة الكتاب الذي معه من النبي لعمر، ثم قال: الحمد لله الذي سلب ملك كسرى وأعطاه لنا فبكى عمر والصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

وفي رواية أخرى، أن سيدنا عمر قال أين سراقة؟ قال سراقة فلما وقفت بين يديه قال: له ارفع يديك، ثم ألبسني السوارين وقال لي: قل الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة ابن مالك وأخذ عمر يرفع صوته بهذا النداء تحقيقاً لوعد الله، ووفاء بعهد رسول الله ﷺ.

فوائد من هذا الموقف:

١ ـ الثقة التي لامنتهى لها عنده ﷺ في نصر الله ـ سبحانه ـ له دائماً يجب علينا الإقتداء به.

٢. إن الله ناصرٌ دينه ومُعِزٌّ أهله على مرّ الزمان والدهور.

٣. قد يأتي الخير الكثيرُ من الشّرِّ ـ فيما يظهر للناس ـ كما حدث للنبيّ في هجرته معه سُراقة بن مالك.

٤. قد يكون من جنود الله الذين يَنصرُ الله بهم دينه ودعوته من غير المسلمين كما كان سُراقة الذي لم يكن مسلماً آنذاك كما الآن في عصرنا ممن يمنعون الحجاب أو الأذآن ومَن يُضيّقون على الدُّعاة المسلمين في كثير من بلاد العالم، مما يجعل الكثير من غير المسلمين يسألون عن الإسلام ومن ثم يدخلون فيه، إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر – أو قال الكافر.

٥. الذنوب سبب الهلاك دائماً ومن أعظم أسباب السَّلب بعد العطاء فقد سلب الله مُلك كسرى فارس وأعطاه لسراقة بن مالك؟ والسبب عصيان كسرى وطاعة سراقة فما نزل بلاءٌ إلّا بذنبٍ وما رُفع إلّا بطاعة، وليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب، إلّا طاعته والعمل بما أمر والإجتناب عمّا نهى عنه.

٦. سُنّةُ التّشريع في شخص رسولنا ﷺ في كيفية الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى ـ فكما قيل: عدمُ الأخذ بالأسباب قدحٌ في الشّريعة والتوكل عليها قدحٌ في العقيدة.

٧. حُبّ الصحابة الشّديد وعلى رأسهم أبو بكر الصّديق، لنبيّهم ﷺ إذ كان يمشي من خلفه ومن أمامه وعن يمينه ويساره كما كان

كثير الالتفات والنبيّ لا يلتفت، ولما سُئل عن هذا قال أتذَّكر الرّصد فأمشي أمامه وأتذكر الطّلب فأمشي خلفه، وقال يا رسول الله إنما أنا إن مِتُّ فأنا فرد واحد، إنّما أنت أمّةٌ يا رسول الله . فرضي الله عن أبي بكر وعن الصحابة أجمعين ..

٨. الثقة والحب المتبادلان بين الجندي وقيادته وخوف وحرص كليهما على سلامة صاحبه، تمَثّل ذلك في أبي بكر مع الرسول والرسول مع أبي بكر، إذ لو لم يكن هذا الأمر متوفراً عند كليهما لفسدة الخطة ولاكْتُشِف الأمر.

٩. حُسن اختيار الصّدِيق، المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل، وكما قيل . الصّديق وقت الضّيق . وصديقك قطعةٌ من ثوبك فانظر بأيّ شيءٍ ترقع ثوبك،تمَثّل ذلك في النبيّ وصديقه أبوبكر الصّديق، وأعظِم بها من صُحبة وصداقة في الله وعلى الله.

١٠. صدق الداعية في قوله وعمله مع الله ومع الناس يجعل الجميع يصَدّقونه حتى ولو كانوا من الكافرين، لذلك صدّق سراقة بن مالك رسول الله في كلّ ما أخبره به مع أن النبيّ وقتها كان وحيدا وسراقة كان على الكفر آنذك، كيف لا والنبي كان يُلَقّب بينهم بالصادق الأمين، وهذا درس هامٌّ لكل داعية لمراجعة نيته ومعاملته مع الناس.

العمل لتحقيق الهدف

ومع أن الهجرة قد تَجلّت فيها سياسته ﷺ وكياسته، وحسن تدبيره للأمور وتقديره لها، فقد خطط للهجرة تخطيطاً دقيقاً وقدّرَ لكل خُطوة فيها أسباب نجاحها، وما تُفضي إليه من تحقيق لهدفه، ووضع كل جندي من جنود الهجرة، في مكانه المناسب، وأناط به العمل الذي تظهر فيه قدرته وخبرته، وبذلك نجحت الهجرة، ومنحها الله التوفيق، إذ الأخذ بالأسباب مأمورون به شرعاً.

وسار ﷺ حتى وصل إلى المدينة المنورة، ولما وطِئت قدماه المدينة المنورة، بدأ بما لابد منه وهو تحقيق ثلاثة أمور، لابد منها لقيام أي دولة إسلامية حقيقية في أيّ عصرٍ من العصور، فما هي هذه الأمور؟

١- علاقة المسلم بربه، فبنَى المسجد.

٢- علاقة المسلم بأخيه المسلم، فكانت المؤاخاة بين المهاجرين الأنصار، كما كان قبلها المؤاخاة بين المهاجرين والمهاجرين.

٣- علاقة المسلم بغير المسلم (اليهود في المدينة وقتها) كانت الوثيقة بين المسلمين واليهود، أو ما يُسمّى بالقانون الدولي الآن.

علاقة المسلم بربه «بناء المسجد»

دخل رسول الله ﷺ المدينة في ضُحي يوم الإثنين الموافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول بعد ثلاث عشرة سنة من مبعثه، وكان راكباً ناقته (القصواء)، وكلما مر بعشيرة من الأنصار رَجَوْه أن ينزل فيهم وأمسكوا بخطامها، وقالوا: يا رسول الله عندنا العَدد والعُدة والمَنَعة، فيجيبهم: خلوا سبيلها – أي الناقة – فإنها مأمورة، فجاوزت به حتى إذا أتت دار مالك بن النجار بَرَكَت في المكان الذي بَنى فيه الرسول مسجده، وكان يومئذ مربداً لغلامين يتيمين من بني النجار يربيهما معاذ بن عفراء، فنزل عنها الرسول ﷺ وحمل أبو أيوب «خالد بن زيد» رحْله ووضعه في بيته حيث نزل ﷺ ضيفاً عنده لحين إتمام المسجد والحُجُرات التي أقام فيها الرسول ﷺ وأهله بعد ذلك، وعندما سأل عن المربد لمن؟ أجابه معاذ: هو يا رسول الله لسَهل وسُهَيل ابني عمرو وهما يتيمان لي، وسَأُرضيهما، فأبى ﷺ أن يأخذه إلّا بثمنه، فاشتراه منهم فاتخذه مسجداً[1]، ثم أمر الرسول ﷺ أمره في البدء ببناء المسجد، وأسهم بنفسه في العمل جنباً إلى جنب مع المهاجرين، ولما رأي الصّحابة رسولهم الكريم يعمل كما يعملون بل وأكثر، نشَطوا في أداء المهمة وراحوا ينشدون:

(١) السيرة النبوية للصلابي ج١ ص٤٩٤ وما بعدها. رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب هجرة النبي وأصحابه.

لئن قعدنا والرسول يعملُ لذاك منا العملُ المضللُ
لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

فيجيبهم ﷺ اللهم ارحم المهاجرين والأنصار، وسرعان ما غدا المسجد رمزا لما يتَّسِم به الإسلام من شُمُوليّة وتَكامل، فقد أصبح مركزاً روحياً لممارسة الشعائر وأداء العبادات، ودائرة سياسية عسكرية لتوجيه علاقات الدولة في الداخل والخارج، ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحتها الرسول بأصحابه، وتُدارُ في باحاتها الندوات والدروس العلميّة، وتُلقى على منابرها المتواضعة التعاليم والمواعظ، كما صار مؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة والعدل، ويمارسون التوحيد والإخاء والانضباط في السّلوك والأخلاق والعبادات، الأمر الذي جعل المسجد يزدحم بالوظائف والمهام ويغدو على بساطته (مُجَمّعا) تُلتَقَي فيه وتصدر منه كافة فاعليات الحكومة وجزءاً من نشاطات الجماعة المسلمة في علاقتها الداخلية والخارجية على السواء، فمتى ترجع مساجدنا الآن لسابق عهدها..؟

لقد كان بناء المسجد هو الخلية الأولى للبناء الإجتماعي للأسرة والجماعة المسلمة، بوصفه أداة ينصهر فيه المسلمين بالإسلام في وحدة فكرية واحدة، من خلال حلقات العلم والقضاء والعبادة والبيع والشراء وإقامة المناسبات المختلفة، فلم يكن المسجد أبداً في الإسلام معبداً أو مقراً للصلاة وحدها وفقط، بل كان شأنه شأن الإسلام نفسه، متكاملاً في مختلف جوانب الدين والسياسة

والاجتماع وغيره[1].

يُستفاد من بناء المسجد:

١- أن المسجد في الإسلام ليس مكان للعبادات وفقط، فهذا ما يُريده الأعداء المتربصون بهذه الأمة، ألّا يخرج الإسلام من المسجد حتى لا يكون واقعاً عمليا في حياة المسلمين.

٢- يُعرف الرّجال بكثرة تردّدِهم على المساجد وذلك لأنها مصنع الرّجال الحقيقيون، الذين ينتصر بهم الإسلام فعلاً.

٣- المسجد بالنسبة للمسلمين هو صلةٌ بين العبد وربّه، ومكان التقاء المسلمين بعضهم بعضا، ومن ثمّ شُرِعت الجماعة للصلاة بالمسجد وفضّلت على الفرد.

٤- المسجد تَخرّج منه الصحابة الأوائلُ كأبي بكر وعمر وعثمان، وتدرب فيه العمالقة المجاهدين كخالد وعمرو بن العاص وعليّ، وفيه تعلّم تُرجُمان القرآن ابن عباس وعالم الفرائض زيد، وعالم الحديث أبوهريرة، وتربى فيه شباب الإسلام كسلمة بن الأكوع والأرقم بن أبي الأرقم وغيرهم وغيرهم.. رضي الله عنهم أجمعين.

مما سبق يتبين لنا أهمية المسجد في الإسلام، فللمسجد رسالته الاجتماعية والروحية عظيمة الشأن في حياة المسلمين، فهو الذي يوحد صفوفهم، ويهذب نفوسهم، ويوقظ قلوبهم وعقولهم، ويحل مشاكلهم، وتظهر فيه قوتهم وتماسكهم.

---

(١) الوعي الإسلامي ص ١٢ السيرة النبوية د/ على الصلابي ج١ ص ٥٣٩ بتصرف.

علاقة المسلم بالمسلم (المؤاخاة)

خَطا الرسول ﷺ خطواته الأخرى التي أراد أن يحل بها الأزمة المعيشية التي اجتاحت المهاجرين بعد مغادرتهم بلدهم العزيز عليهم مكة، وينظم علاقاتهم الاجتماعية بإخوانهم الأنصار، وريثما يستعيد المهاجرون مقدّراتهم المالية، ويتمكنون من بلوغ مستوى الكفاية الاجتماعية، فماذا فعل حبيبنا ﷺ اعتمد أسلوب المؤاخاة والمشاركة بين الطريفين وقال: تأخوا في الله أخوين أخوين، فكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد مؤاخاة المهاجرين للمهاجرين.

كانت المؤاخاة في الإسلام تجربة رائدة في تاريخ العدل الاجتماعي، حيث ضرب ﷺ فيه أروع الأمثلة على مرونة الإسلام وانفتاحه على الآخر في الوقت المناسب، وعلى أفضل أشكال العلاقات الاجتماعية مساواة وعدلا، فقد وَرَد فيه المنطق الإلهي الذي لا يُحابي أحداً، ولِيَرُدّ على كل القائلين بأن الإسلام جاء لكي يمثل إصلاحاً جزئياً للمسألة الاجتماعية، لأن العصر الذي تصوغه وسائل الإنتاج لم يتح له أن يتحرك لصياغة عالم جديد من العلاقات لم تسمح (المرحلة الانتاجية) بَعدُ صياغته، ولم تأمر بها فهناك المزيد من التجارب الاجتماعية التي تصفع هذا التحليل الخارجي الصارم.. تلك التجارب التي لا تقل خطورتها ودلالتها

عن تجربة المؤاخاة[1].

لقد نجحت التجربة الإسلامية في المؤاخاة أفضل نجاح على مرّ التاريخ، وذلك لأنّ الأرْضِيّة التي أقيمت عليها قد استكملت كل شروط النجاح، في مجتمعٍ شَابٍّ جديدٍ في بادِئ أمره هو المجْتَمع المسلم، المجتمعٌ يحكمه مبدأ العطاء قبل الأخذ، وتُشيّدهُ أواصر العقيدة وحدها، ويُوَجّهه الإيمان العميق في كل حركاته وأعماله، ويقوده الرسول الأسوة الحسَنَة، وَأَنَّى لتجربة كهذه أن تفشلَ أوتتعثر، خذ مثلاً من كثيرٍ لا يُحصى عنه ﷺ، يَشْكوا له أصحابه يوماً الجوعَ، ويكشفوا له عن بطونهم التي شَدَّ كلُّ واحدٍ منهم عليها حجراً؟، لكي يؤكدوا له ما يعانونه، فإذا بهﷺ يبتسمُ، وقبل أن يتكلم يَكشِفُ لهم عن بطنه فإذا بحجرين قد شُدّا على بطنه الشّريف[2]، وبغض النظر عن عدد الذين تأخوا عشرات كانوا أم مئات أم ألوفاً، المهم أن التجربة كانت ناجحة وليس لها نظير على مرّ العصور.

يُستفاد من المؤاخاة:

١. يُراد لأُمّة الإسلام أن تبتعد عن سرّ قوتها، وهو الوحدة فيما بينها والأخوة التي هي أعظم شعائر الإسلام.

٢. لا إسلام كاملاً على الحقيقة إلّا بالأخوة الصّادقة الكاملة التي

(١) مجلة الوعي الإسلامي ص ١٣.

(٢) انظر محمد رسول الله محمد الصادق عرجون ج٢ ص ٦٢٠ وما بعدها.

يحْيا عليها المسلمون ويعيش بها الصادقون في أخوّتهم.

٣- إنّ الأُخوّة أختُ الإيمان وإن الفُرقة والتفرُّق أخُ الكفر، وإنما المؤمنون إخوة، وإنما يأكل الذِّئب القاصية من الغنم.

٤. إنّ الأخوة الإسلامية أصلٌ وسببٌ لكل خير، وهي نعمة ما أعظمها من نعمة، بل إنّ الأخوة ذُكر بعدها الجهاد في سبيل الله تعالى، لأنها سرُّ قوة المسلمين في حربهم ضد أعدائهم في قوله تعالى(ياأيها النبي حرّض المؤمنين على القتال...).

٥. الخيرُ كلّ الخير في اتّباع النبيّ فيما شرع وفعل فلقد شرّع لنا ﷺ بأمرٍ من الله تعالى المؤاخاة بين المسلمين. وما نحن فيه من الشّرّ والهزيمة النفسيّة، حتى صارت أمّتنا تُلقّب بالعالم الثالث اليوم، إلّا لتفرقنا وتمزُّقنا.

علاقة المسلم بغير المسلم (المعاهدة)

بعد أن أرسى رسول الله ﷺ قواعد مجتمع جديد وأمة إسلامية جديدة، عن طريق المسجد والمؤاخاة، بدأ بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان قصده بذلك توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، فسَنّ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في ذلك العالم المليء بالتعصب والأغراض الفردية والعرقية. وأقرب من كان يجاور المدينة من غير المسلمين هم اليهود، وهم وإن كانوا يبطنون العداوة للمسلمين، لكن لم يُظهروا أيّة خصومة بعد، فعقد معهم ﷺ معاهدة قرر لهم فيها النصح والخير، وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة.

ومن أهم بنود هذه المعاهدة:

١- أن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بنى عوف من اليهود.

٢- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣- وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤- وأن بينهم النصح والنصحية، والبر دون الإثم.

٥- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.إلى غير ذلك من بنود المعاهدة.

لكن اليهود مع كلّ هذا نقضوها فيما بعد كعادتهم دائماً. يُستفادُ من قصّة الصّحيفة (المعاهده)

١. قررت الصحيفة أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس، وبهذا التقرير ألغي النبي الحدود القبلية، أوعلى الأقل لم يجعل لها وجوداً رسمياً بالنسبة للدولة، وبهذا أصبح الإسلام ملكاً لمن دخل فيه، فدخل بناءً على هذه القاعدة شعوب كثيرة في الإسلام دون أن يضع الرسول أمامها عقبات تحول بينها وبين الاشتراك في الدولة الإسلامية.

٢. لقد أقرت الصحيفة مفهوم الحرية الدينية وما يترتب عليه من حقوق لمواطنيها من الأديان الأخرى، فها هوالإسلام مع أنه لم يقرهم على دينهم إلّا أنه لم يُكره اليهود على الدخول في الإسلام.

٣. كما أنها لم تكن المسألة مسألة مناورة مرحلية فقط، لكن بدأ الموقف السمح المنفتح عن اعتقاد كامل بأن اليهود ـ باعتبارهم أهل الكتاب، سيتجاوبون مع الدعوة الجديدة الإسلام، وينهضون لإسنادها، أو على الأقل سيكفُّون أيديهم عن إثارة المشاكل والعقبات ووضع العراقيل في طريق الدعوة وهي تبني دولتها الجديدة وتُصارع قوى الوثنية التي تتربص على الحدود[1].

٤. إن إصدار الوثيقة يمثل تطوراً كبيراً في مفاهيم الاجتماع والسياسة، فهذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية، على غير نظام القبيلة وعلى غير أساس رابطة الدم، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في المدينة إلى

(١) مجلة الوعي الإسلامي ص ١٣.

أمد، ولأول مرة يحكم القانون[1] وذلك من خلال تغيير شامل وتحول سريع.

٥. طوى الدستور الإسلامي صفحة اجتماعية بطابعها القبلي، وفتح صفحة جديدة أكثر إيجابية وأقرب إلى الترابط والتكافل والوحدة الفكرية للمجتمعات، وجعل لغير المسلمين حقوق وعليهم واجبات[2].

٦. وخلال هذه الفترة من هذا العهد أخذت الصلاة تشريعها النهائي، وفرض الصيام وزكاة الفطر، ورسمت الحدود، وفرض الحلال والحرام، وحدد الأذان كنداء يُدعي به المسلمون إلى الصلوات الخمس[3].

(١) السيرة النبوية للصلابي ج ١ ص ٥٤٣.

(٢) مجلة الوعي الإسلامي ص ١٣ وسيرة بن هشام ص ٥٥٠ ج١.

(٣) الوعي الإسلامي ص ١٤ السيرة النبوية د/ الصلابي ج١ ص ٥٩٣ وتفسير الظلال وغيره.

لابد للحق من قوة تحميه

كان لزاماً على النبي القائد المشَرّع أن يقوم بخطواتٍ أخرى ومهمّة. من هذه الخطوات التي فعلها رسولنا، ومن ثمّ هي تشريع لنا في كلّ زمان زمكان، فبعد وصوله ﷺ المدينة وما حققه كان لابد عليه أن يُعدّ جيشاً يحمي الدعوة الجديدة، فالحق لابد له من قوة تحميه، «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين» (البقرة:٢٥١) وذلك لأن الظروف الجديدة التي بدأ الإسلام يجابهها، وتصاعد الموقف الحربي بينه وبين قُوى الشر المحيطة بالمدينة، ونزول الآيات القرآنية تؤذن ببدء القتال المسَلّح حتّم على الرسول ﷺ أن يُنمّي هذه القدرات، وأن يَدفع أتباعه إلى مزيد من التدريب والمهارة العسكرية في مواجهة الأعداء الذين يحيطون بالدولة الجديدة، رافعاً شعاراً واضحاً لا غموض فيه «أَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ» (الأنفال:٦٠)

تكوين الفرد المسلم

اعتمد النبي في سعيه لتكوين «الفرد المسلم» على خطين متوازيين:
الأول: التربية الروحية الثاني: التدريب العملي:
الأول: سعى ﷺ إلى رفع معنويات المقاتلين، بمنحهم أملا يقينا بالنصر أو الشهادة، ومنذ تلك اللحظات ظل هذا الأمل يحدو الجندي المسلم في ساحات القتال، ويدفعه إلى بذل كل طاقاته وقدراته النفسية والجسدية، من أجل كسب المعارك أو الموت تحت ظلال السيوف، مجتازاً باستشهاده الخاطف السريع، الجسر الذي يصل أرض المعركة بالجنة، حيث الخلود الدائم والنعيم المقيم، ولذة القرب من الله «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (آل عمران:١٦٩) هذا البذل الذي شهده تاريخ الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ هو الذي كان يُفجر طاقات المسلم القتالية شعارهم إحدى الحسنين النصر أو الشهادة.
أما الأسلوب الثاني الذي اعتمده ﷺ وهو التدريب العملي، فقد سعى من خلاله إلى اعتماد كل طاقات الأمة القادرة على البذل والعطاء رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، شباباً وشيوخاً، وإلى التّمرُّس على كل مهارة في القتال طعناً بالرمح وضرباً بالسيف ورمياً بالنبل ومناورة على ظهور الخيل، كما أكد على ضرورة تعلم القتال في

كل ميدان[1] قال ﷺ (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي) رواه مسلم، والرمي يعني إصابة الهدف، وقوله ﷺ (الخيل معقود على نواصيها الخير إلى يوم القيامة والأجر والمغنم) رواه البخاري. وذلك دفعاً لأصحابه إلى ممارسة الفروسية وتعلم ركوب الخيل في قتال يلعب فيه الفرسان دوراً كبيراً.

وقوله ﷺ وهو يمزج بين خَطَّي التربية العسكرية (إن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومُنْبِله» رواه أحمد[2]، شاهد رجلٌ في أطراف المدينة عقبةَ بن عامر يحمل السلاح ويمارس التهدف راكضاً من مكان إلى مكان وهو شيخٌ كبير، فسأله (تختلف بين هذين الموضعين وأنت رجل كبير؟) أجاب لأمر سمعته من رسول الله ﷺ قال: وما ذاك؟ قال: (سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا) بهذه اللهجة الحاسمة (ليس منا) وذلك لإن هؤلاء الذين يذهبون إلى ساحات القتال وهم يحملون سلاحاً لا يعرفون كيف يستعملونه، سرعان ما يتعرضون للارتباك والرعب فتُحصد رؤوسهم ويكونون كارثة على رفاقهم الذين يشل الموقف قدراتهم على استخدام السلاح.

بهذه الاجراءات وضع الرسول القواعد الأولى لدولة الإسلام في المدينة، وأخذت التشريعات المنبثقة عن هذين المصدرين (القرآن، والسُّنة)، تنمو وتتسع يوما بعد يوم، لا بطرائق نظرية تجريدية

---

(١) انظر مجلة الوعي الإسلامي ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) السيرة النبوية للصلابي ج١ ص ٥٣٩ نقلًا عن تفسير بن كثير والظلال.

منفصلة عن الحياة والواقع، وإنما وفق نفس الأسلوب الذي كانت الآيات المكية تتنزل فيه لكي تبني العقيدة في أذهان ونفوس الإنسان والجماعة المسلمة، وهو أسلوب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع الحركي، والتجربة الحيّة المعاشة، ومن ثمّ تجيئ معطياته أشدّ التصاقاً بحركة المسلمين ونمو دولتهم، وأكثر التماساً بتجربتهم المحسوسة ودوافعهم المعاشة، وأعمق فهماً وإدراكاً لمتطلباتهم وأبعادها الأخلاقية والسلوكية، نظراً لمواكبتها لمشاكلهم وتجاربهم اليومية ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم.

ولما كانت دعوة الإسلام لم تأت من البداية إلى بلد مُعيّن، فإنها كانت خطوة تَقدُّمية إلى الأمام نحو تحقيق ما بُذلت المحاولات لتحقيقه من بعد، وهو تدويل المجتمع الإنساني، وبجانب عالمية الدعوة فإن الإسلام أقام نظام (الحج) أقام أيضاً نظام (الخلافة)، كما أقام الشعائر والعبادات، والأخلاق والسلوك، كما أمر بالسِلم أمر بالجهاد، كل ذلك من أجل تحقيق هذا الهدف الأسمى، ألا وهو دولة الإسلام دولة العقيدة التي يعيش فيها الجميع متساوون لا فضل لأحد على أحد إلّا بالتقوى.

لماذا الهجرة؟

المهمّةُ التي لم تستطع حملها السماوات والأرض والجبال، تحتاج إلى أمّةٍ تَكونُ قد تربّت على مبادئ هذه المهمة، ورجال عاشوا من أجلها، وتجرّدوا لها، وماتوا في سبيلها، وبذلوا في سبيل علُوّها كل غال ورخيص، إذن فلابد وأن تتكون مجموعات من هؤلاء الرجال، ليقوموا بتبليغ هذه الدعوة إلى الناس أجمعين، ولن يستطيعوا إتمام ما يريدون إلّا إذا كان هناك مكاناً آمناً على الأقل ولو في بداية الدعوة، خاصّة أنهم قبل الهجرة كانوا في بلدٍ مثل مكة، وهي التي وقفت ضد دعوة الإسلام بكلّ ما تملك، في حين أن الباطل موجودٌ على أشُدِه في مكة وانظر إلى حالها وحال أهلها.. حتى نعلم لماذا هاجر أصحاب الدعوة الناشئة من بلادهم وعلى رأسهم ﷺ فقد جاءه الحق الذي كان يتَلَمّسه ويبحث عنه، وألقي عليه الوحي أثقل مهمة تلقي على عاتق بشر، وأمره أن يقوم لينذر الناس ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد العلي الكبير، وهَجْر ما هم عليه من عبادة الأوثان ومن ارتكاب الإثم والعدوان، وأمره أن يكون قدوة صالحة للناس في ظاهره وباطنه وأن يُخلص نفسه ووجهه لله، وأن يصبر على ما يلاقيه في دعوته إلى الله من مشقة وأذيً وعَنت، وعليه فلابد أن تقتنع قريش بأن آلهتهم من الأصنام، لا تنفع ولا تضر، كيف هذا وقد نشأوا يعبدونها؟ كما كان يعبد آباؤهم من قبل، وكما أن العرب جميعا يدينون لأهل مكة عامّة

وقريش خاصة بالولاء والسيادة، ويعترفون لهم بالفضل ويمدونهم بمدد عظيم من الأموال والأنعام والأرزاق، لأنهم هم سَدَنة البيت الحرام وخُدّام الآلهة وهذه الأمور كانت تجلب لهم المنافع وتمنع عنهم الأذى من أعراب البادية الذين كانوا يقطعون الطريق على القوافل الغادية والآتية إلا قريشا، فإن قوافلها تروح وتغدو آمنة لأنها قوافل الحرم، فكيف للكفار أن يُضحُّوا بهذا كله؟ إذا فلابد من مكان آمن لهذه الدعوة.

والأهم من هذا هو عالمية الرسالة التي بعث الله بها ﷺ فالإسلام جاء ليصل إلى كل البشر فهي رسالة الإسلام العالمية لقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (سبأ:٢٨) وقوله جل وعلا «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا..» (الأعراف: ١٥٨) أي أنه ﷺ رسول للناس جميعا من ربهم الذي يملك هذا الوجود كله وهم أفرادٌ من هذا الوجود، قال محمد بن كعب: يعني إلى الناس عامة، وقال: قتادة: أرسل الله تعالى محمداً ﷺ إلى العرب والعجم جميعاً فمحمدٌ أكرمهم على الله تعالى وهو أطوعهم له عز وجل، وقال: ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله تعالى فضل محمداً على أهل السماء والأرض وعلى الأنبياء فقد أرسله تعالى إلى الجن والإنس[1].

وكما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، وذكر منها وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة

(١) ابن كثير جـ ٣ صـ ١٤ بتصرف.

وأرسلت إلى الناس عامة)[1]، وقوله ﷺ (بعثت إلى الأسود والأحمر) والأحاديث كثيرة عن عالمية الرسالة الإسلامية.

فلقد عَمّت الدنيا قبل بعثته ﷺ حيرة وبؤس وظلام فبددها بنوره.

أتيت والناس فوضى لا تمرُّ بهم إلا على صَنَم قد هَامَ في صنمِ
فعاهل الروم يطغى في رعيته وعاهل الفرس من كبر أصمّ

عمى هؤلاء حتى ساق هدايته الكبرى إلى الأنام فأرسل إلى الأمة جميعاً محمد ﷺ فهل يترك محمد البشرية حائرة ويتقوقع في مكة وحدها؟ أم يهاجر إلى الله تعالى، ويؤسس دولة جديدة تتحمل عبء الاستخلاف في الأرض؟ إذن فلابد من الهجرة.

فرسالة الإسلام قامت على دعائم من القواعد والأصول العامة المحكَمَة، جعلها الله هادية للعقل في سيره مع الحياة، يسترشد بها ويستخرج من أصولها أحكام الأحداث والوقائع المتجددة التي لا تتناهي، دون حاجة إلى الوقوف عند نص قد لا يفيد أولا يفي بالمقصود، ومن ثم كانت حقيقة هذه الرسالة الخالدة في خلودها كالحياة في تآخيها مع العقل الإنساني والذي لابد وأن يصل إليه الإسلام والدعوة الإسلامية[2].

---

(١) البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله.

(٢) انظر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق (عرجون) جـ ٢ ١٣٣، ١٣٤.

الإقبال على الإسلام بروح عالية

مما جعل الهجرة لابد منها الإقبال الكثيف من الناس عليها، فبعد صيحة الصفا التي جمع النبي ﷺ المشركين لهم وبعد قوله تعالى: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (٢١٤الشعراء:) أخذ الناس يتحدثون عن هذا النبأ العظيم الذي جاءهم به محمد، حتى صار ذلك حديث الغادي والرائح في مكة بل وخارجها، وجعل الناس يتحدثون به في مجالسهم العامة والخاصة، في بيوتهم وأنديتهم، وفي أوقات جَدّهم ولَهوِهم وشُغلهم وفراغهم وسفرهم وإقامتهم، ومن ثم أخذ جميع الناس يستمعون إلى أنباء هذه الدعوة من بعضهم فيتنسمون منها روح الأمل، فقد كان الضعفاء يعيشون في غمرة من الإهمال والظلم تجلعهم أحط درجة من الحيوان الأعجم، وكم كانوا مرغمين على أن يقبلوا عيشة الذل والهوان والبؤس حتى يموتوا ولا يُبالي بهم أحد، فهم يقطعون أيامهم بلا أمل، فجاءهم الإسلام بمبادئه القويمة لينقذهم من ذلك اليأس القاتل، ويفتح لهم باب الأمل في حياة أخرى بعد هذه الحياة الفانية، في رحاب الإسلام، ومنها السعادة الدائمة التي لا انقطاع لها، وهون عليهم أمر الحياة الدنيا وما يلاقون فيها من شدة العيش وقوة الظلم، فما هي إلا فترة قصيرة يستطيع المرء أن يحتمل ما يعانيه فيها من المشقة.

أضف إلى ذلك أن قريشاً أول الأمر لم تكن تدرك ما في هذه

الدعوة من خطر على سيادتها ودينها، فكانت تنظر إلى الرسول ﷺ وصحبه فلا تأبه لهم، ولا تلقى إليهم بالاً، ولا ترى فيما يفعلونه شيئا تنكره عليهم، لأنّها كانت تنظر إلى ما يفعلونه على أنه مثل ما يفعل السابقون كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم ممن كانوا يُسمَّون بالحنفاء، أما الذين أقبلوا على الإسلام بروح عالية هل يتركهم أهل الباطل من أهل مكة يعبدون ربهم؟ هل يتركهم أعداء الدعوة ليصلحوا أحوال أنفسهم أو حال غيرهم؟ لا. بل سيقفون أمام الدعوة الإسلامية الإصلاحية بكل ما يملكون من قوة، سيحاربونهم بكل أنواع الأسلحة المتوفرة لديهم في هذا الوقت.. كما هو مفصل في أمهات الكتب، فهل يا ترى يمكثون في مكة حتى يقتلوا جميعا أم يهاجروا منها لأرض أفضل منها؟ فعليهم بالهجرة من مكة حتى يبلغوا دعوة ربهم.

ليس الضعفاء فقط

يتبادر إلى أذهان بعض الناس سؤالٌ مفاده، هل كان كل المقبلين على الدعوة هم الضعفاء من أهل مكة فقط؟ وللإجابة على هذا السُّؤال نقول ليس الأمر هكذا، إذ أن الدعوة قد أقبل عليها وهي في الفترة السرية الفرد بعد الفرد، وكان من أوائل مَن أقبلوا على الدعوة من أشراف مكة وساداتها وذووا الشّأن فيها، بل إنّ بعضاً من هؤلاء كانوا من العشرة الذين انتهى إليهم الشّرف قبل الإسلام، فإذا نظرنا إلى كتب السيرة والتاريخ لوجدنا منهم أبو بكر الصّديق رضى الله عنه انتهى إليه الشرف في علم الأنساب عند العرب وعنده كانت توضع الديات والأمانات لأهل مكة وباعتراف الجميع وهو أول من أسلم من الرجال في مكة، وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من العشرة الذي انتهي إليهم الشرف عند العرب وكانت إليه السفارة لأهل مكة، وهو ممن اسلموا من الأوائل، وكذلك حمزة بن عبد المطلب وعثمان بن عفان، وعلى ابن ابي طالب ومصعب بن عمير رضى الله عنهم جميعا وغيرهم من أشراف مكة، ولكن بعد هذا اشتدت الأزمات وتفاقمت الأحداث[1].

وتطاول المشركون على المسلمين، خاصة عندما رأي كفار مكة إقبال الناس على الإسلام ولم يقدروا على مواجهته وصد الناس

(١) انظر ص وما بعدها من كتاب محمد رسول الله لمحمد الصادق عرجون.

عنه، ولم يأمره ربه بقتال هل يمكث هو وأصحابه في مكة حتى تفنى الدعوة بفناء من يحملها؟ أم يبحثون عن أرض خصبة تنبت فيها الدعوة وتثمر رجالاً يَقدِرون على حملها وتحمّل تبعاتها الثقيلة؟ إذن فلابد من الهجرة.

الهجرة سُنّة من سنن الأنبياء

لم تكن هجرة الحبيب محمد ﷺ بدعا من الرسول بل إنها كانت سنة ماضية لإخوانه من الأنبياء السابقين ولقد قص الله علينا ذلك في القرآن الكريم ـ خاصّة السور المكية ـ كثيراً من قصصهم عليهم السلام، يقول الأستاذ سيد قطب في ظلاله « إن وجود جماعة مسلمة في الأرض، لا تدين إلا لله ولا تعترف بسلطان إلا بسلطانه، ولا تُحَكِّم في حياتها شرعاً إلا شرعه، ولا تتبع في حياتها منهجا إلا منهجه، في وجود جماعة مسلمة كهذه تهديد للطواغيت، حتى لو انعزلت هذه الجماعة في نفسها، وتركت الطواغيت لحكم الله حين يأتي موعدهم، لن يتركهم هؤلاء أيضاً، إن الطاغوت أيها الأخوة يفرض الهجرة والمعركة فرضا على الجماعة المسلمة، حتى لو آثرت هي ألا تخوض معه المعركة أو نأت بنفسها عنه، وذلك لأن وجود الحق في حد ذاته يزعج الباطل، وهذا الوجود ذاته هو الذي يفرض علينا المعركة مع الباطل لأنها سنة الله لابد أن تجري هكذا، وفي تبجح سافر وفي إصرار على المعركة لا يقبل المهادنة أوالتعايش مع الحق وأهله فهذا سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذي أجمع الطغيان علي حرقه بالنار.

وتأتي قصة لوط عقب قصة إبراهيم بعدما هاجر هو الآخر مع عمه إبراهيم فهاجرا معاً ثم عاش لوط وحده بعد هجرته في إحدى القبائل على ضفاف البحر الميت أو بحيرة لوط كما سيمت فيما

بعد، مما يبين أن الهجرة سنة قديمة مع الأنبياء السابقين لمحمد، ويزيد الأمر وضوحا ما ورد في سورة مريم في قوله تعالى: عن إبراهيم وحواره مع أبيه «قالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا» (مريم: ٤٦-٤٨)، إذ يقول الأستاذ سيد قطب (إنّ والد إبراهيم قابله بالاستنكار والتهديد والوعيد، لئن لم تنته لأرجمنك وهذا إنذار من الباطل لأهل الحق بالموت والموت الفظيع إن هم أصروا على حقهم، ولكن القلب الذي أفسده الكفر ولم تخالطه بشاشة الإيمان لابد أن يكون هكذا، فلم يغضب إبراهيم الحليم ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه، بل قال له بلسان الحال والمقال، إذا كان وجودي إلى جوارك ودعوتي لك إلى الإيمان تؤذيك فسأعتزلك أنت وقومك، وأعتزل ما تدعون من الآلهة، وهكذا اعتزل إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم وآلهتهم، وهجر أهله وديارة، وبهذه الهجرة وتركه أهله وقومه وأرضه ووطنه، عوضه الله خيرا منهم فلم يتركه الله وحيدا بل وهب له الله اسماعيل وإسحاق، وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب.

إذن فهجرة النبي ﷺ سنة من سنن الأنبياء من قبله فرارا بدعوتهم حتى يبلغوها إلى الناس كافة، ويزيد الأمر وضوحا ما جاء في قصة موسى عليه السلام، وهو من الأنبياء الذين هاجروا بدعوتهم، وقد ذُكرت هذه القصة وغيرها في القرآن كثيرا وخاصة المكيّ منه، ليربي النفوس في مكة على أن الهجرة هي سنة قديمة في الأنبياء

والصالحين من قبل نبينا ﷺ ومحمد ليس بدعا من الرسل. ومن هذا القصص القرآني ما يحكي لنا عن موسى وفرعون، «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ» (الشعراء:٥٢) يقول صاحب الظلال «لقد أوحي الله إلى موسى إذَن أن يسري بعباده وأن يرحل بهم ليلا وأن يهاجر من بلده وموطنه ويقود قومه ويخرج ناحية البحر، وهذا هو الواقع بين أهل الحق والباطل دائما وعلى مر الزمان.

وقد كان القصص القرآني إحدى الرسائل التربوية في القرآن الكريم في هذه الفترة العصبية مع النبي وأصحابه، ودليل على أن الهجرة كانت سنة في الأنبياء السابقين وبعد أن أهّل القرآن المكيّ النبيّ وأصحابه نفسيا، جاء التصريح في القرآن بأن هذا هوديدن الطغاة ودأبهم فقال سبحانه «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا..» (إبراهيم:١٣) وكأن القرآن يقول انظر يا محمد أنت وأتباعك إلى هؤلاء الرسل قد هاجروا من المكان الذي باتت لا تنبت فيه الدعوة إلى مكان آخر تثمر فيه الدعوة.

تنوّع أساليب محاربة الدعوة

من دواعي هجرته ﷺ وصحابته من مكة إلى المدينة، إجماع المشركون على محاربة الدعوة التي عَرّت واقعهم الجاهلي، وعابت آلهتهم وسفهت أحلامهم وتصوراتهم عن الحياة والإنسان وعن الله وعن الكون، فاتخذوا العديد من الوسائل والمحاولات لإيقاف الدعوة وإسكات صوتها أو تجميدها حتلا تنتشر بين الناس ومن هذه الأساليب:

أ- المحاولات المتكررة من قريش لإبعاد أبي طالب عن حماية ومناصرة النبي ﷺ، فقد جاءت قريش إلى أبي طالب وقالت: يا أبا طالب والله إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانْهَهُ عنا فقال: أبو طالب للنبي: يا محمد إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم، وذكر من شأنه معهم، فحَلَّقَ النبي ببصره إلى السماء فقال: (ترون هذه الشمس قالوا: نعم. قال: فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها بشعلة) وفي رواية (والله ما أنا بأقدر أن أَدَعَ ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار) فقال: أبو طالب (والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا راشدين فوالله لن أتركه ولن أسلمه لكم وأنا حي) وقد حاولت قريش مرات عديدة الضغط عليه بواسطة العائلة ففشلت، ولهذا فقد ذاع أمر حماية أبي طالب لابن أخيه وتصميمه على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش

فأتوا إلى أبي طالب بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالت: والله: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أَنهَد فتي في قريش وأجملها فهو لك ولد، واترك لنا ابن أخيك الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامنا، فنقتله فإنما رجل برجل، فرد عليهم أبو طالب قائلا (والله لبئس ما تساومونني عليه، أتعطونني ابنكم أغذيه لكم وأعطيكم ابن أخي كي تقتلوه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً)[1].

ب) من الوسائل أيضاً: محاولتهم تشويه دعوته ﷺ فماذا فعلوا؟ قام المشركون من أهل مكة بتشويه دعوته ولذلك نظمت قريش حرباً إعلامية شرسة، والإعلام كما نرى هو آلة يستخدمها المستبدّون لتشويه خصومهم ممن يبينون للناس ظلمهم وفسادهم، وكان من قادة هذه الحرب هو الوليد بن المغيرة، حيث اجتمع مع نفر من قريش لما حضر موسم الحج وكان ذا سِنٍّ بهم ومكانة، فقال: لهم يا معشر قريش: إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستَقدُمُ عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضا ويرد بعضكم قول بعض، فقالوا له: فأنت يا أبا عبد شمس قُل وأقم لنا رأياً نقول به، فقال: بل قولوا وأنا أسمع، فقالوا إذن نقول: (كاهن) فقال: ما هو بكاهن لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه فقالوا: نقول (مجنون) فقال كلا ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ص ٤٧ ، فقه السيرة ص ١٨٤ ، السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٩.

هو بمجنون ولا تظهر عليه علاماته فقالوا نقول (شاعر) قال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برَجَزه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، فقالوا: نقول (ساحر) فقال: ما هو بساحر لقد عرفنا السَّحَرة وسِحْرِهم فما هو بالسحر، فقالوا: فماذا نقول إذن يا أبا عبد شمس فقال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلوا ولا يُعلَى عليه، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف إنه باطل،وإن أقرب القول لأن تقولوا سحرٌ يفرق بين المرء وأبيه، وبين الأخ وأخيه، وبين الرجل وزوجه، والرجل وعشيرته، ويتضح من هذه القصة أن الحرب النفسية المضادة لهﷺ لم تكن توجه إليه اعتباطاً، إنما كانت تعد بتخطيط ودقة مسبقة بين زعماء الكفر، وحسب قواعد معينة، كاختيار الوقت المناسب، فها هم اختاروا وهو وقت تجمع الناس في موسم الحج، كما أنهم بدقة تخطيطهم أعدوا خطة محكمة، فقرروا الإتفاق وعدم التناقض، وبالتالي يكون لها تأثير على وفود الحجيج، ومع اختيار الزمان المناسب اختاروا المكان المناسب أيضا، وهو مكان تجمع الحجاج،فأخذوا على أنفسهم تشويه دعوة الإسلام بتشويه شخص النبي، فلم يكتفوا بتنفير سكان مكة منه، بل تعدوها إلى القادمين إليها ليَحُولوا بينهم وبينه ﷺ، أو الاستماع إليه حتى لا يتأثر به أحد من القادمين لمكة، كان هذا وغيره مما جعل النبي يبحث عن مكان آخر يأمن فيه على تبليغ دعوته وتوصيلها إلى الناس جميعاً.

من وداعي الهجرة

لم يفتر المشركين عن إيذائهم النبي منذ أن صدع بدعوته من أول يوم، فكانت تنزل عليه الآيات التي تدعوه للصبر وتَدُلُّه على وسائله، وتنهاه عن الحزن وتضرب له الأمثلة من واقع إخوانه من المرسلين السابقين،

«واصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا» (المزمل: ١٠-١١) وقوله تعالى تصبيرا للنبي وتسليةً له «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ» (الطور:٤٨) هذه الآيات وغيرها في القرآن إنما تدل على مدى المعاناة التي كان يعانيها الأنبياء السابقين.

إيذاؤهم للنبي وحفظ الله له

قال أبو جهل لمن حوله من كفار مكة (هل يعفر محمد وجهه في التراب بين أظهركم؟ فقيل له نعم قال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ رقبته بقدمَيّ هاتين، ولأعفرن وجهه في التراب « فأتى أبوجهل رسول الله وهو يصلي فقال: له ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف عنه النبي ونهره فقال: أبو جهل إنك لتعلم ما بها من نادٍ أكرم منيفنزل قوله تعالى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» (العلق: ١٧:١٨) فقال: ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته الزبانية وفيه قال: النبي لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً).

وما يرويه البخاري عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمعٌ من قريش في مجالسهم، إذ قال: قائل ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسالِها، فيجئ به ثم ينتظره حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه قال: ابن مسعود فانبعث أشقى القوم (عقبة بن أبي مُعيط) فلما سجد رسول الله وضعه بين كتفيه وثبت النبي ساجداً فضحكوا حتى مالَ بعضهم على بعض من الضحك، فانطلق منطلقٌ إلى فاطمة رضي الله عنها وهي جويرية ـ أي صغيرة ـ فأقبلت تسعى ورفعته عن أبيها فلما قضى رسول ﷺ الله الصلاة قال: (اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش) ثم سمى وهو يرفع وجهه إلى السماء يدعو قائلاً: اللهم عليك بعمرو بن

هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد، قال: ابن مسعود فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب (البئر الذي دفنوا فيه) قتلى يوم بدر ثم قال: رسول الله ﷺ واتبع أصحاب القليب اللعنة[1].

ومما فعله المشركون مع رسول الله وكان ذلك أشد على نفس النبي[2] أن عمه أبو لهب كان من أشد الناس عداوة له وكذلك كانت امرأته أم جميل، وقد كانت تسعى بالإفساد بينه وبين الناس بالنميمة، حتى لا يسمع له الناس ويكرهونه، وكانت تضع الشوك في طريقه والقذر على بابه، فلا عجب أن أنزل الله فيهم سورة كاملة تسمت باسمه «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» وقد بلغ من أمر أبي لهب أنه كان يتتبع رسول الله في الأسواق، وفي المجامع ومواسم الحج ويكذبه وهو يقول هذا ابن أخي لو كان صادقاً لاتبعناه، هذا مع ما للنبي من عظيم القدر ومنتهى الشرف بَيْدَ أنه قد حظى بالحمل الثقيل والعناء الطويل، منذ أول يوم صدع فيه بالدعوة ولقد لاقى النبي من سفهاء قريش أذى كثيراً، فكان إذا مر على مجالسهم بمكة استهزءوا به وقالوا ساخرين هذا ابن أبي كبشه يُكَلّمُ من السماء؟، وكان أحدهم إذا مر عليه ﷺ يقول له ساخراً مستهزئاً أما كلمتك السماء اليوم؟ وهذا ما يُفعل مع أتباع الأنبياء في كل عصر، حتى أن عدو الله أمية بن خلف بصق في

(١) البخاري مع الفتح ج ١ ص ٥٩٤ ، مسلم ص ١٤١٨.

(٢) انظر ص ٢٥٤ ج٣١ السيرة النبوية للصلابي.

وجه النبي الكريم، ولم يتوقف مسلسل المحن والعذاب له ولأصحابه أبداً في مرحلة مكة، لكنه ﷺ أراد ان يقول لأمته عامة وللدعاة خاصة، حديثاً صححه الألباني في صحيح الجامع قال بأبي هو وأمي «لقد أُخِفتُ في الله ولم يُخف أحد مثلي، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد مثلي، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولا لبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شئ يواريه إبط بلال»[1] يا لها من شدة بعد شدة، ويا لها من متاعب لا يصبر عليها إلا أفذاذ نذروا حياتهم لدينهم ودعوتهم، ولكن كان ذلك على قدر الرسالة التي حملها ليكون قدوة للدعاة والمصلحين من بعده، فإذا كان الاعتداء قد نال رسول الله ﷺ فهل هناك أحد يَعُدّ كرامته أكبر من كرامته ﷺ؟ ولكن تلك سنة الله في الدعوات، عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله أيّ الناس أشد بلاء قال (الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة سَهُل بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي حسب دينه، فلم يبرح البلاء بالعبد المؤمن حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة)[2].

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٠٠٠ وانظر الروض الانف للسهيلي ج٢ ص٣٣ السيرة النبوية للصلابي ج١ ، ج٢ ص٢٥٥.

(٢) ابن ماجة باب الصبر على البلاء رقم ٤٠٢٣.

كذلك أُوذيَ الصحابة

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فلقد أوذي أبو بكر الصديق ووضع على رأسه التراب وضرب في المسجد الحرام بالنعال حتى ما يعرف وجهه من أنفه. فلقد روت عائشة رضى الله عنها فقالت: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا.. فألحّ أبو بكر على رسول الله في الظهور فقال له النبي (يا أبا بكر إنا قليل) فلم يزل يلحّ عليه حتى ظهر رسول الله ونفر من المسلمين في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته فقام أبو بكر خطيباً في قريش، فكان أبو بكر أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله، وثارت ثورة المشركين على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوه في نواحٍ من جسده ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويجرهما على وجه أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تيم (قبيلة أبي بكر) تدافع عنه فأَجْلَت المشركين عن أبي بكر وحملوه حتى أدخلوه منزله وهم لا يشُكّون في موته ثم رجعت بنو تيم إلى المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، ورجعوا إلى أبي بكر وجعلوا يُكَلمونه ويلومونه فما تكلم إلا آخر النهار، فكان أول ما تكلم به: هو ما فعل رسول الله؟ فسبوه وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعمي أبا بكر شيئاً أو تسقيه، فلما خَلَت أمه به، قالت له وألَحّت عليه فلم يزد أن يقول ما فعل رسول الله، وهي تقول والله مالي علم

بصاحبك ثم قال لها: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عن رسول الله، فما سكت حتى حملوه وأوصلوه إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، وفيه من الجراح ما يجعله لا يستطيع أن يمشي وحده، بل يتهادي بين أم جميل وأمه حتى وصل إلى النبي ﷺ فلما رآه النبي والصحابة حتى انكب عليه وأخذ يقبله والصحابة فعلوا مثل ما فعل النبي بأبي بكر، ورق له النبي رقة شديدة.

كذلك عمار بن ياسر وأهل بيته الذين كان يقول لهم النبي ﷺ وهم يعذّبون فلا يملك إلّا أن يقول لهم «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» فأم عمار بن ياسر السيدة الطاهرة سمية بنت خياط رضي الله عنها التي ضربها أبو جهل بحربته فأرداها قتيلة فهي أول شهيدة في الإسلام حتى قال ﷺ فيهم ولهم «اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت»[1] ثم ما لبث أن مات ياسر تحت وطأة العذاب في سبيل عقيدة تمكنت من قلبه.

ومصعب بن عمير: الذي كان يلقب بفتى مكة المدلل، ثم يخبرنا سعد بن أبي وقاص عنه وهو يقول «لقد رأيته جهد في الإسلام جهداً شديداً، حتى لقد رأيت جلده يتحشف (يتطاير) تحشف جلد الحية عنها، حتى إن كنا لنمر عليه فنحمله مما به من الجهد، وهو ثابت لم يتزحزح عن دينه[2].

ومنهم أيضا: خباب بن الأرَتّ: وهو ذا يذكر لنا ما حدث له فقد سأله عمر بن الخطاب في خلافته عما لاقي في الله فقال:

---

(١) صحيح الجامع ج٢ والتربية القيادية جـ١ ص ٣٤٢ انظر.

(٢) انظر الروض الأنف جـ٢ ص١٩٥.

خباب انظر يا أمير المؤمنين فكشف عن ظهره فإذا هو قد برُص، فقال: عمر ما هذا يا خباب؟ قال خباب: لقد أوقدوا لي ناراً. يا أمير المؤمنين. ثم وضعوني عليها، ثم وضع رجل منهم رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري، وما أطفأ تلك النار إلا شحمي «وقد وصل به العذاب على يد صناديد قريش فالصقوا ظهره بالأرض على الحجارة المحماة، ولما اشتد عليه العذاب إلى درجة لا تطاق جاء إلى النبي ﷺ فسأله يا رسول الله ألا تستنصر لنا ربك، ألا تدعو لنا؟ فقعد وقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيؤتي بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويُمَشّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظمه أو عصبه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

من دواعي الهجرة الحصار في شعب أبي طالب

كان ذلك من المحرم من العام السابع إلى المحرم من العام العاشر من البعثة النبوية، ازداد إيذاء المشركين من قريش أمام صبر الرسول ﷺ وصحابته من الإيذاء وإصرارهم علي الدعوة إلى الله، ثم بلغ الإيذاء قمته في الحصار المادي والمعنوي، الذي ضربته قريش ظلماً وعدواناً على النبي وأصحابه، ثم تعداه إلى كل من عطف عليهم من قرابتهم حتى ولو كانوا من المشركين، وهو المسمي بالمقاطعة وهذا من الأساليب التي يلجأ إليها الأعداء كثيراً عندما يصعب عليهم الوقوف أمام الدعاة، وحينما يجدوا منهم صلابة فيقومون بتفعيل هذا الدور كوسيلة ضغط على الدعاة من الأقرباء والأهل[1].

ذكرت كتب السيرة «...ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمون الجهد واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مَلئِهَا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ فلما رأى أبو طالب عمل القوم وغدرهم خاف على النبي منهم، فقام بجمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا برسول الله شِعبِهم ويمنعوه ممن أرادوا قتله، فاجمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً، فلما علمت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله منهم وأنهم سيحاربون من حاربهم، أجمعوا أمرهم

(١) السيرة النبوية للصلابي ج١ ص٢٦٩.

على أشياء وكتبوها في صحيفة ووضعوها عند الكعبة، زيادةً في التأكيد وحتى لا يقدر أحد من العرب على نقضها « وكان مما كُتب في الصحيفة (.. فيما يخص بني هاشم قوم الرسول ﷺ على ألّا يجالسوهم ولا يناكحوهمو ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، ولا يَدَعوا شيئاً من أسباب الرزق يصل إليهم أبداً، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم ببني عبد المطلب رأفة ولا رحمة، ولا يخالطوهم ولا يكلموهم ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يُسلموا إليهم محمداً ليقتلوه) ثم تعاهدوا ووضعوا على أنفسهم العهود والمواثيق الغليظة على ذلك، وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة زيادة في تأكيدها على أنفسهم.

ولبث بنو هشام في شِعبِهم ثلاث سنوات، وقد اشتد عليهم البلاء والجُهد حتى بلغ بهم ذروته، وقد قطع العرب عنهم الأسواق وكل شئ فلا يتركون لهم طعاماً يَقدُم من مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه، وهم يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم محمد ﷺ وقد خاف أبو طالب على النبي عَنَتَ قريش خوفاً شديدا[1]، واشتد الحصار على الصحابة وبني هاشم وبني عبدالمطلب، حتى اضطروا إلى أكل أوراق الشجر، وحتى أصيبوا بضيق العيش وشدته إلى أن أحدهم قام للبول كعادته فإذا هو يسمع قعقعة وهو يبول فبحث عنها فإذا هي قطعة من جلد بعير مختلطة بدم وكانت تسمى عند العرب (بالعُلهُث) فأخذها فوراً لشدة جوعه ثم غسلها ثم حرقها ودقها وسَفّهَا، وشرب عليها الماء، وتقوت بهذه القطعة ثلاثة أيام،

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ صـ ٣٩٤ وما بعدها والسيرة النبوية للصلابي.

وكان أشد ذلك على المسلمين عندما يسمعون صوت الصبية والأطفال وهم يتضاوون من الجوع، وهذا ما يحدث مع كثير من المسلمين الآن، ولا ذنب لهم إلّا لأنهم مسلمون، فأيّ عذاب وشدة عاشها المسلمون الأوائل؟ فها هم يواجهون الصعاب بكل صبر وبلاء، وكلما وجد فيهم أهل مكة صبراً غيروا معهم أسلوب التعذيب من صنف لآخر حتى يَهِنوا أو يضعفوا، ولكن أنّى لقوم رباهم الرسول بيديه،وصنعهم الله على عينه، ليس شئ من هذا يخطر ببال أحد منهم، بل إنهم بحثوا عن مكان يبلغون فيه ومنه دعوتهم التي طالما عُذّبوا من أجلها، حتى قيض الله سبحانه وتعالى، خمسة كانوا على دين قومهم من الكفر هم: هشام بن عمرو الهاشمي، وزهير بن أمية المخزومي، والمطعم بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وقد كانت عندهم نخوة ورجولة، وما يعلم جنود ربك إلّا هو.

القيم التربوية المستفادة

– إن المسلم إذ تأمل بنود هذه الاتفاقية الظالمة يجد أن قريشاً قد أحكَمَت بنود هذه الاتفاقية ولم تدعْ فيها من ثغرة يمكن النفاذ من خلالها، مما يؤكد أنها قد وُضِعت بعد مداولات ومشاورات على نطاق واسع، وقد شارك في وضعها (النُّخب وكبار المفكرين والمتخصصين والعديد من الخبراء من أهل القلوب الحاقدة على الإسلام)[1].

– وضع في الصحيفة قيداً مهماً للتضيق على المسلمين وهو عدم الزواج بين أهل مكة كلهم من جانب وبين المحاصرين من جانب آخر، وهذا الزواج جانب اجتماعي مهم عند الجميع، فالزواج غالباً ما يؤدي إلى التآلف والتآخي والتراحم والتواصل والتزاور بين أهل الزوجين، فلو تم شئ من هذا سيؤدي حتماً إلى فشلِ وَفَكِّ الحصار وهذا غير مراد للكفار، ولهذا نَصّت الوثيقة على عدم الزواج بين الطرفين.

– هناك بند في الصحيفة هو النهي عن البيع والشراء منهم، وهذا يُظهِر لنا الجانب الاقتصادي وأهميته إذ البيع والشراء عادة ما يكون هو عصب الحياة الاقتصادية، ويقوم بعملية تبادل المنافع بين البشر، فلو انعدم هذا التعامل فسينهار البناء الاقتصادي

---

(١) انظر السيرة النبوية للصلابي ، فقه السيرة المنهج الحركي للغضبان ، السيرة النبوية للندوي ، السيرة النبوية لابن هشام.

وتكون الحياة الاقتصادية مهددة بالانهيا، وبالتالي يصبح الإنسان فاقدا لضروريات الحياة مما يعرض حياة المحاصرين للخطر المحقق، ومن ثمّ يظهر أثر ذلك واضحاً للرضوخ والانصياع أو الانبطاح، لأوامر من يملك هذه الضروريات ومعلوم أثر ذلك على حياة الفرد والجماعة والشعب والحكومة المحاصرة، ولهذا أرادت قريش من هذا البند تجويع المسلمين وإذلالهم وجعلهم أداة في يد دولة الكفر آنذاك، وهذا قد يحدث لولا إرادة الله وحده، ثُمّ حسن تربيته ﷺ لهذا الجيل الفريد.

– وضعها في جوف الكعبة وهذا مما يضفي ويزيد على ما في الصحيفة القُدُسِّية والشّرعيّة، ويجعل بنودها تأخذ طابع القداسة والتي تقيد بها جميع العرب، لأنهم يقدسون الكعبة ويعظمونها مما يجعلها مُلزِمةً للجميع.

– عدم المجالسة والمخالطة ولا يدخلون على بن هاشم بيوتهم..، لماذا؟ لأن المجالسة والمخالطة ووجهات النظر والحوار والأخذ والردّ قد يقنع المسلمون بعض من يميلون إليهم من أهل الصحيفة بما فيها من ظلم كبير، وأنهم قد أخطأوا مع المسلمين وهم يعلمون ما عند المسلمين من الحق والأدلة التي يقتنع بها غيرهم، ومن ثّمّ قد تفشل الخطة، لذا نَصّت الصحيفة صراحةً على عدم المخالطة والمجالسة.. وأنهم لا يدخلون عليهم بيوتهم فلماذا؟ لأن الدخول إلى بيوت المحاصرين قد يحرك الجانب الإنساني في النفس، وهذه طبيعية في الإنسان عندما يرى بيتاً يخلو من أبسط مقومات الحياة وقد أصيب أهله بالجوع، فلا شك أن العاطفة قد تتحرك

عند هذا الشخص، ومن ثم فسيحاول جاهداً رفع الظلم والمعاناة عن المظلومين المتضررين، لهذا السبب نصّت الصحيفة على عدم دخول البيوت على المحاصرين حتى لا تفشل خطتهم.

– ومما يُستفاد أيضاً أنه قد يأتي من المحنة الشديدة منح كثيرة، فحادثة المقاطعة هذه كانت من أكبر الأسباب في خدمة دعوة الإسلام في مكة، فقد قامت الدعاية لها بين القبائل والعرب، وقد ذاع الخبر في كل الأوساط في مواسم الحج، وقد لفت هذا الأمر الأنظار في أرجاء الجزيرة العربية إلى الدعوة الإسلامية، والتي قد تَحَمّل صاحبها وأصحابه كل هذه الآلام والمشَقة سنوات طويلة أثرت في نفوسهم، إذن لابد وأن تكون دعوة حقة ولولا ذلك لما تحملوا كل هذا في سبيلها.

أثار الحصار سخط العرب على كفار مكة لقسوتهم وشدتهم على بني هاشم وبني المطلب، وبالتالي أثار النخوة عندهم على النبي ﷺ وأصحابه فما انفك الحصار المفروض حتى أقبل الناس على الإسلام وحتى ذاع أمرها في جميع الأوساط وتردد صداها في كل مكان وسمع بها من لم يسمع بها أبداً قبل ذلك، (وليس أدلّ على ذلك في هذا العصرمن قضية الحجاب أو قضية منع الآذان في بعض الدول..الخ فإنها كانت خيراً وبركة على الإسلام، حيث أسلم الكثيرون لهذا السبب) كما كانت هذه السنوات تربية لهذا الجيل من المسلمين تربية صحيحة، فقد لجمت الشهوات والعواطف وتخرج جيل من هذه المحنة قادرا على تحمل المسئولية[1]

(١) المنهج الحركي للغضبان، التربية القيادية للغضبان ج١.

من دواعي الهجرة وفاة عمه وزوجته

وفاة أهم شخصين مدافعين عن النبي ﷺ في مكة، وكان ذلك في السنة العاشرة من البعثة وهوالعام المسمى بعام الحزن وهما، عمه أبو طالب وزوجته البارّة السيدة خديجة.

فعمه أبو طالب الذي كان يحوطه في خارج بيته ويغضب له، ولا يستطيع أحد أن يقربه بأذى من أهل مكة هيبة لأبي طالب، إذ كانت قريش وأهل مكة تقدر أبا طالب وتحترمه، فلما مات أبو طالب زادوا له نصيبه في العذاب والأذى، فقد مات من كانت تحترمه وتقدره قريش ثم توفيت بعد عمه أبو طالب بقليل السيدة خديجة وهو نفس العام الذي توفى فيه عمه أبو طالب حتى سماه بعض المؤرخين بعام الحزن فقدكان أبو طالب هو السند الخارجي الذي يدافع عن النبي ﷺ ويدفع عنه الأذى من الكفار في مكة، وكانت خديجة هي السند الداخلي الذي يخفف عنه ما هو فيه عندما يرجع مهموماً، وبالتالي فقد تجرأ أهل مكة عليه ﷺ ونالوا من النبي ما لم يكونوا يطمعون فيه في حياة أبي طالب والسيدة خديجة.

وبدأت المرحلة العصيبة في حياته ﷺ، وذلك لأنه أصبح وحيداً لا ناصر له من البشر، حيث أُغلقت مكة وأعرض أهلها عن هذا الدين، فماذا عساه أن يفعل ﷺ إلا أن يبحث عن مكان آمن ليبلغ رسالة ربه.

إعراض أهل الطائف وغيرهم عن الإسلام

لما تكالبت المحن والفتن على النبي في بلده مكة، قرر النبي وعزم على الانتقال إلى بلدة أخرى وقوم غير قومه، حتى يعرض عليهم دعوته ويلتمس منهم نصرته رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به، فخرج إلى الطائف، لكنهم كانوا كأهل مكة وأشد، فقد أفاضت كتب السيرة فيما فعله أهل ثقيف معه ﷺ بعد أن أغروا به سفهاءهم وصبيانهم ليضربوه، وقد اصطفوا صفين وهو يسير وسطهما حتى أدموا قدميه الشريفين، وكان زيد بن حارثة رضى الله عنه مولاه – وكان يُعرف بزيد بن محمد– يحاول أن يحميه أويدافع عنه وهو شاب صغير وقد أخذه النبي معه في هذه الرحلة العصيبة، ثم في النهاية جاءه جبيري ومعه ملك الجبال وأخبره بأنه مستعد ليقضي عليهم فقال له ﷺ الرؤوف الرحيم «عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله سبحانه وتعالى».

كان هذا حال الطائف مع دعوة الإسلام وصاحبها ولم يدخل في الإسلام أحدٌ في هذه الرحلة الشّاقة إلّا عداس غلام عتبة بن ربيعة، وبهذا فقد أُغلقت أبواب الطائف هي الأخرى كما أُغلقت مكة قبلها، فلما رأى ذلك كان عليه أن يبحث عن مكان آمن ليهاجر إليه.

ثم غيّر النبي ﷺ من خطته حسب ما يقتضيه الزمن فقام من توّه وأخذ يطوف على القبائل العربية خارج مكة في المواسم

التجارية ومواسم الحج التي تجتمع فيها القبائل وذلك وفق خطة سياسية دعوية محددة الأهداف واضحة المعالم، وكان يصاحبه في رحلاته هذه نسّابة العرب ومؤرخهم، أبو بكر الصديق متحدثا بلسان النبي في رحلاته، فكان يذهب معه إلى أعيان الناس ووجوه القبائل، وكان أبو بكر يسألهم دائما ويقول لهم: كيف العدد فيكم؟ وكيف المنعة عندكم؟[1] وهكذا كان قبل أن يتحدث إليهم النبي ويعرض دعوته عليهم، وكان يقول «من يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي؟ فإن قريشاً منعتني أن أبلغ رسالة ربي وكان أبو لهب لعنه الله يمشي خلفه وهو يقول للناس: «لا تسمعوا له فإنه كذاب» ولم يجد ﷺ من هذه القبائل جدوي في نصرة دعوته الوليدة ومن ثم فلابد أن يبحث عن مكان آخر أيضاً.

(١) انظر سيرة ابن هشام ج٢ / ٧٨ وبعدها ، جوانب الحذر والحماية ص ١٠٨ وبعدها وانظر السيرة النبوية للصلابي ج١ وبعدها.

من أهم أسباب الهجرة إسلام أهل المدينة

وصل نبأ دعوته ﷺ إلى أهل المدينة وانتشار بينهم بعد المقابلة الأولى لبعض أهل يثرب (المدينة) ورأى منهم ما يسره، لذا اتجه التخطيط النبوي المحكم، ليركز همه على المدينة المنورة بالذات، فكان النبي لا يسمع بقادم يقدم من العرب عامة ومن المدينة خاصة، إلّا وتَصَدّى له وكلمه ودعاه إلى الإسلام.

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة وجدت الدعوة الإسلامية بذورًا صالحة، سرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات، اتقى المسلمون في ظلالها الوارفة لفحات الظلم والعدوان حتى تغير مجرى الأحداث وتحول خط التاريخ، وجاء أول موكب من مواكب الخير من المدينة وكانوا ستة نفر، كانوا هم البذرة الأولى وكانت تلك هي البداية المثمرة مع وفد المدينة في موسم الحج، فعند عَقَبة مِنَى قال لهم رسول الله «من أنتم»؟ قالوا: نفر من الخزرج قال: «أمن موالي يهود»؟ قالوا نعم فقال النبي لهم «أفلا تجلسون أكلمكم»؟ قالوا بلى: فجلسوا وجلس النبي معهم، ودعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم شيئاً من القرآن، فلما فرغ النبي من دعوتهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه هو النبي الذي تتوعدكم به يهود، بقتالكم معه فلا يسبقونكم إليه، فأجابوه إلى الإسلام دون تلعثم أو تفكير، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم، وإنا سندعوهم إلى

أمرك ونعرض عليهم ما أجبناك إليه من هذا الدين، فعسى الله أن يجمعهم بك فلئن جمعهم الله عليك فلا رجلٌ أعز منك، ثم انصرفوا إلى يثرب راجعين إلى قومهم وهم يحملون معهم الإسلام، وقد كانوا ستة نفر.

فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم الإسلام ودعوهم إليه، فاستجاب لهم الكثير من قومهم، حتى فشا ذلك في المدينة فلم تبقى دار من دور الأنصار إلا وقد ذُكر فيها أَمْره ﷺ وأمْر الإسلام، أسلموا أم لم يسلموا[1] وكان هذا هو أول موكبٍ للخير وصل إلى المدينة، ولنتأمل معاً أمر هؤلاء النفر الذين أسلموا، فهم لم يكتفوا بالإيمان فقط، بل أخذوا على أنفسهم العهد أن يَدْعُوا قومهم إلى الإسلام الذي آمنوا به، وقد وفوا جميعا بهذا العهد، فقد نشطوا في الدعوة حتى سَمِعت المدينة كلها أمر الإسلام.

ومن حكمته ﷺ إزاء ما كان يلقى من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله، أنه كان يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يَحُول بينه وبين هذه القبائل أحد من أهل مكة.

ثم توالت على النبي في مكة منذ هذا اليوم مواكب الخير وطلائع النور التي هيأها الله للخير، ولتتصل بالهداية، وَتَسْبَح في النور، ومن المعروف أن هذه المقابلة التي حدثت مع هؤلاء الستة عند العقبة، لم تكن بيعة في الحقيقة، لأنها قد كانت بين نفر قليل من الخزرج، وهم ليسوا ممثلين عن قومهم فليس من حقهم أن يلتزموا بمعاهدة، حتى يرجعوا إلى قومهم ولكنهم أخلصوا في تبليغ رسالة

(١) انظر السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية ص ٨٠ وبعدها.

الإسلام حتى حدث ما حدث من انفتاح وانتشار بسببهم، ثم وافي في الموسم التالي اثنا عشر رجلاً من الأنصار الذين أسلموا على يد الدعاة الأوائل، فلقوا النبي عند العقبة وبايعوه البيعة الأولى والتي سميت تاريخياً (ببيعة النساء) لأنها لم يكن فيها دفاع ولاحرب ولم يأخذ عليهم النبي عهداً بالنُّصرة، وكانوا عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، التقى هؤلاء برسول الله ﷺ عند العقبة بمِنى فبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت بعد الحديبية.

روى البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال لهم: تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه» قال: فبايعناه، وكان من حماسهم أن استقطبوا اثنين من الأوس على الرغم من العداء القائم بينهم آنذاك، وكان هذا هو بداية ائتلاف القبيلتين وتوحدهما تحت راية الإسلام(١).

ثم فعل النبي ﷺ هذه المرة شيئا هامّاً، أن بعث النبي معهم مُصعب بن عمير وقد اختاره النبي نظراً لمواصفات خاصة كانت فيه ـ رضي الله عنه ـ منها إجمالاً: كثرة حفظه للقرآن ولذلك كان يؤمهم حتى أنه كان يسمى بالمقرئ، وإلى جانب حفظه للقرآن كان عنده

(١) انظر السيرة النبوية للصلابي ج١ ص ٣٥٨ وبعدها البداية والنهاية ج٣ وفقه السيرة ص٩٨.

لباقة وحكمة، ولذلك تمكن في خلال أشهر معدودات من نقل الصورة الكاملة الحية التي انتهت إليها الأوضاع بين المسلمين في المدينة، ومدى القدرات والإمكانيات المتاحة، وكيف تغلغل الإسلام في جميع قطاعات أهلها، وأن القوم قد استعدوا للمبايعة الجادة وأنهم قادرون على حماية الدعوة وصاحبها.

ثم جاءت البيعة الثانية وهي التي بها تغير بها مجرى التاريخ وكانت كما ذكرها الإمام البخاري وغيره والإمام أحمد مفصلاً عن جابر بن عبد الله وكان ممن حضر هذه البيعة «.. فبايِعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة» فقاموا إليه وبايعوه وقام أسعد بن زرارة وهو اليوم أصغرهم فقال: «رويدا يا أهل يثرب فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وأن إخراجه اليوم هو مفارقة للعرب كافة وفيه قتلٌ لخياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أن تخافوا من أنفسكم جبنا فبينوا ذلك الآن، فهو عذر لكم عند الله» فقام البَرَاء بن معرور وأخذ بيد النبي ﷺ فقال: «والذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع منه أُزُرنا، يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فإنا والله أبناء الحرب ورثناها كابراً عن كابر،» فقام أبو الهيثم بن التيّهان وقاطعه قائلاً «يا رسول الله: إن بيننا وبين القوم حبالا وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل إن فعلنا ذلك

ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم ﷺ قائلاً « بل الدَّمُ بالدّم، والهدم بالهدم أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسألم من سالمتم، أخرجوا إلىّ اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم أمناء فيهم كنقباء موسى» فأخرج القوم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس»[1]

فإذا نظرنا في هذه البيعة لوجدناها بملابساتها وبواعثها وآثارها، وما جرى فيها من حوارات بين الأنصار والنبي ﷺ ودوافعها التاريخية، لوجدناها أنها هي «فتح الفتوح» على الحقيقة.

درس آخر هام للدعاة، أنه ﷺ لم يعين النقباء بل ترك لهم حرية الاختيار، لأنهم سيكونون كفلاء عنهم، كما جعل النبي هؤلاء النقباء بمثابة مشرفين على سَير الدعوة في يثرب، حيث بهذا الأمر قد استقام عُود الإسلام هناك وكثر المقبلون عليه المتبعون له، وأراد النبي ﷺ أن يشعرهم قد أصبحوا هم أهل الإسلام وحماته وأنصاره، لكنه أرسل معهم مصعب ليعلمهم ما تعلم من الإسلام.

باستقراء سيرة وتراجم أصحاب البيعة الثانية من الأنصار وعددهم، فإننا سنجد أنهم كانوا ثلاثة وسبعين أو اثنين وسبعين وقد استشهد منهم قبل وفاة النبي قرابة ثلثهم، كما نلاحظ أنه قد حضر وشهد المغازي كلها، أكثر من النصف منهم، وحضر منهم غزوة بدر حوالي سبعين رجلاً ولقد حدث لهؤلاء الأنصار المبايعين ما لم يحدث لغيرهم من البلاء، وقد وصلوا إلى مالم يستطع

(١) انظر السيرة النبوية للصلابي ج١ ص٣٩٤ وبعدها والرحيق المختوم. وتهذيب سيرة بن هشام ج١ ص٢٥٠.

أن يصل إليه غيرهم من الفضائل، فمنهم من قضى نحبه، ولقي ربه شهيداً، ومنهم من بقي حتى ساهم في قيادة الدولة المسلمة، وشارك في أحداثها الجسام بعد وفاته ﷺ وبمثل هذه النماذج قامت دولة الإسلام الأولى، وستقوم على أكتاف مثل هؤلاء دولة الإسلام دائماً، هذه هي النماذج التي لا تطلب إلا الجنة.

لهذه الأسباب ولغيرها كانت المدينة المنورة هي أول مكان للدعوة الإسلامية، وكان سر اختيار النبي ﷺ لها.

«لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ..» (يوسف: ١١١)

(الهجرة) إعدادٌ وتخطيطٌ وتربية

سبق الهجرة إلى المدينة تمهيد وإعداد وتخطيط منه ﷺ.
كان هذا الإعداد في:
أ. إعداد شخصية المهاجرين.
ب. المكان المهاجر إليه (المدينة).
الهجرة لم تكن نزهة أو رحلة سياحية، يُرَوّح الإنسان فيها عن نفسه، لكنها التضحية بالأموال والأنفس، ترك للأهل والوطن وإلى غير رجعة، ترك للدنيا بكل ما فيها، لهذا فإن الهجرة تحتاج إلى جهد كبير وشاق من المهاجر نفسه، حتى يصل إلى هذه القناعة التامة الكاملة بهذه الهجرة.
من الوسائل التي استخدامها النبي ﷺلإعداد شخصية المهاجرين:
١- التربية الإيمانية العميقة والتي معها الإرادة القوية والعزيمة الصادقة.
٢- الاضطهاد والأذى الذي لحق بالمؤمنين من مكة على يد أهلها، مما دعا المهاجرين إلى القناعة التامة بعدم إمكانية المكوث في مكة.
٣- التمحيص للمسلمين الأوائل في السنوات الأولى في مكة، حيث تدربوا عمليا على اللجوء إلى الله والاعتصام به، وأن كل شيئ هو بيد الله حقاً، ونزول القرآن المكي الذي يلفت الأنظار

إلى الخروج إلى أرض الله الواسعة[1] إذ تناولت كثير من السور التي نزلت بمكة أمر الهجرة تلميحا، وذلك حتى تُعِدُّهم ليوم سيهاجرون فيه، فمثلا نزل أول ما نزل من آيات تُلَوح بالهجرة كانت في سورة الزمر المكية يقول الله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ « (الزمر: ١٠)

وفي سورة الكهف وهي السورة التي تحدثت عن الشباب المسلم الذي ضاقت عليه بلده زرعا، وفيها عن هجرتهم وما حدث معهم، حتى وصل إلى الصحابة صورة مصغّرة عما سيرونه لاحقاً، وهو أنهم لابد وأن يحدث معهم مثلما حدث لهؤلاء الفتية من هجرتهم من أجل عقيدتهم، ثم تتابعت بعد ذلك الآيات الصريحة التي تتحدث عن الهجرة، وأنهم سيظلمون حتى يخرجوا من بلدهم إلى المكان الذي سيهاجرون إليه، ومن هذا قوله تعالى: «يا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ» العنكبوت:٥٦)

وهاهي سورة النحل تقول: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ « (النحل:٤١)

كذلك كانت الهجرة إلى الحبشة عبارة عن تهيئة للنفوس وتدريبا عمليا على ترك الأهل والوطن من أجل دينهم[2].

الأسلوب الثاني: إعداد المكان المهاجر إليه (المدينة) فالذي يدقق في أمر الهجرة يجد أن الرسول ﷺ لم يسارع بالانتقال إلى المدينة في

(١) السيرة النبيوة د/ الصلابي ج١ ص٤١٤.

(٢) السيرة النبوية د/ الصلابي ج١ ص٤١٥ نقلا عن السيرة النبوية تربية أمة ودولة د/ صلاح الشامي ص١١٨.

الأيام الأولى، وإنما تأخر الأمر بالهجرة لأكثر من نحو عامين وما ذلك إلا دقة النبي ﷺوحكمته ليتأكد من وجود القاعدة الواسعة والصلبة عند الأنصار في المدينة، ووافق ذلك إعداد للمهاجرين في القرآن الكريم وبخاصة بعد انتقال سيدنا مصعب بن عمير إلى المدينة، ثم تأكد ذلك صراحة على لسان الأنصار إذ طلبوا من النبي ﷺ بإلحاح أن يهاجر حتى ينصروه، كما أكدت المناقشات التي دارت بين النبي والأنصار لما طلبوا من النبي أن يأذن لهم في أن يميلوا على أهل مِنَى ممن آذوه ﷺ في مكة بأسيافهم فقال لهم النبي «إني لم أؤمر بذلك الآن» وهكذا يكون قد تم التأكد للنبي ﷺ من معرفة مدى الاستعداد الذي كان عند أهل المدينة وقوة عقيدتهم وأنهم سيتحملون تبعات ذلك مهما كلفهم، فهذا هو الإعداد الحقيقي.

أساليبهم لمنع المهاجرين

من أساليب المشركين في منع المهاجرين من وصولهم المدينة.

الأول: الحبس لكل من يريد الهجرة:

كانت قريش تُلقي القبض على كل من يحاول الخروج وتقوم بحبسه داخل أحد البيوت، ومن ثم تفرض عليه رقابة مشددة حتى لا يتمكن من الهرب، وأحياناً يكون بالحبس تعذيب، وبهذا تكون قريش قد حققت هدفين.

أ. منع المحبوسين من الهجرة إلى المدينة.

ب. أن يكون هذا الحبس درساً وعبرة لكل من يحاول الهجرة من الذين يفكرون فيها ممن بقي في مكة من المسلمين.

الثاني: أسلوب التجريد من المال:

وقد حدث هذا مع صهيب الذي كانت هجرته عملاً تجلت فيه روعة العقيدة، وعظمة التجرد لله سبحانه من كل حظوظ النفس، حيث ضحى بكل ما يملك في سبيل الله، إذ لما حاصره أهل مكة قائلين له «لقد أتيتنا صعلوكاً لا مال لك، وقد كثر مالك عندنا وقد بلغت ما بلغت، ثم تنطلق بنفسك ومالك؟ هذا والله لا يكون أبداً، فقال لهم: إنكم تعلمون أني من أرماكم بالنبل وهذه أربعون سهماً معي في كنانتي، ولن تصلوا إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهماً ثم أعمد إلى السيف أقاتلكم به، لكن لو تركت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا «نعم» قال إن مالي في مكان كذا

وكذا وهو لكم» فلما وصل إلى المدينة وبلغ النبي ﷺ فقال له: ربح البيع أبا يحيى» ثم تلا عليه ﷺ «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَاد» (البقر: ٢٠٧) وقد نزلت فيه الآية كما قال: عكرمة عن ابن عباس[1].

الثالث: أسلوب التفريق بين الزوجين والأهل: كما حدث مع أم المؤمنين أم سلمة، إذ لما أرادت الهجرة خرجت هي وزوجها، فلما علم المشركون قاموا إليها، وأخذوها من زوجها وأخذوا ابنها وتجاذبوه بينهم حتى انخلعت يداه، وتركوها بعيدة عن زوجها وابنها وهي تبكي على ذلك مدة عام كامل، حتى مر بها بعض الناس، وكلمهم في أمرها فتركوها، وهي التي ضحت بزوجها وولدها وبأهلها وبكل شئ في سبيل الله.

بعد هذه الإطلالة السريعة في تحليل ما سبق يتأكد لنا أن التاريخ يعيد نفسه فلا جديد على الأرض، إنما هو تكرار ما يحدث من الطغاة المتجبرين من عناد وعتوّ، يقابله إصرار ويقين من الدعاة المصلحين وتفانٍ وحبٍ لدينهم ودعوتهم وتضحية بكل غالٍ في سبيل ذلك.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ رقم ٣٩٨ نقلا عن السيرة النبوية للصلابي.

لماذا المدينة دون غيرها؟

ثم كان ما يريده المسلمون في مكة وهو الهجرة، وكان التوجيه من الله تعالى، فقد روت عائشة رضى الله عنها قالت: لما صدر السبعون من عند النبي ﷺبعد البيعة طابت نفس النبي بأن جعل الله له مَنَعة، وقوما هم أهل حرب وعدة وخبرة ومروءة.

وجعل البلاء يشتد بالمسلمين من المشركين لما علموا بخروجهم فضيقوا على النبي ﷺ وأصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا قد نالوه من قبل ذلك من الأذى والشتم، فشكا ذلك الصحابة إلى النبي ﷺ استأذنوه في الهجرة فقال لهم النبي ﷺ «قد أُريتُ دار هجرتكم أُريتُ سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان، ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي» ومكث أياما ثم خرج النبي إلى الصحابة مسروراً وهو يقول «قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها».

فجعل القوم يتجهزون ويتوافدون ثم يخرجون خفية من الكفار حتى لا يعلموا بهم، وكان أول من قدم إلى المدينة بعد إذن النبي هو أبو سلمة بن عبد الأسد، ثم تتابع الخروج بعد ذلك وهم ينزلون على الأنصار في دورهم، والأنصار يؤوونهم وينصرونهم، وخرج بعد ذلك المهاجرون كلهم إلى المدينة فلم يبق في مكة من المسلمين إلا ضعيف أو مريض، والنبي وأبو بكر وعلى بن أبي

طالب[1].

نجد هنا أنه من دواعي اختيار المدينة مقرّاً للدعوة الإسلامية خبرته ﷺ بالواقع المحيط به، فقد كانت الهجرة بتخطيط وإحكام تام، وليس ارتجالاً أو فكرةً طرأت على عقل النبي أراد أن يطبقها، فلئن هاجر من وطنه ومسقط رأسه فمن أجل دعوته وحفاظاً عليها، وإيجاداً لأرضٍ خصبة تقبل هذه الدعوة وتستجيب لها وتدافع عنها، وتنشرح لها صدورهم وتنفتح لها عقولهم، وتستجيب لها قلوبهم، فهذا هو منتهى العقل والذكاء، إذ أن بقاء الدعوة في أرض قاحلة مجدبة لا يخدمها بل يعوقها ويشلّ حركتها، فعليه إذن أن يخرج بها من هذا الوسط إلى البلد التي يُمَكّن الله لهذه الدعوة فيها، وتكون هي نقطة الانطلاق حتى تنتشر دعوة ربها وتصل إلى العالمين جميعاً، إذن المدينة الآن صارت قاعدة تحمي هذه العقيدة، وتُكفَلُ فيها الحرية ويتاح فيها للدعوة أن تتخلص من الجمود الذي انتهت إليه في مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة نفسها من جهة، وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد من جهة أخرى، أما الحبشة فكانت عبارة عن قاعدة احتياطية، وتقدم أن الرسول ﷺ ذهب بدعوته إلى الطائف وإلى ثقيف وإلى القبائل مثل بني شيبان وبني بكر وبني ثعلبة وغيرهم من القبائل لكنهم

(١) انظر السيرة النبوية للصلابي وما بعدها بتصرف واختصار ، نقلًا عن سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد.

لم يؤمنوا[1].

وأيضاً لما للمدينة من الفضائل التي حظيت بها المدينة في القرآن والسنة.

فلقد عظم الله شرف المدينة المنورة بهجرة النبي وصحابته إليها حتى فضلت على سائر البقاع، وأنها قد عصمها الله من الدجال والطاعون ببركة دعاء النبي ﷺ لها:

ومن الفضائل التي حظيت بها، محبة النبي لها ودعائه بالبركة فيها لأهلها: عن انس قال: قال النبي ﷺ « اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت لمكة من البركة» وعن أبي هريرة قال: «كان الناس إذا رأوا أول التمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فيقول: اللهم بارك لنا في تمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدّنا، اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك، وأنا عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه، قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك التمر « كما في صحيح مسلم.

ومن فضائلها أن الله تعالى قيض لها ملائكة يحرسونها فلا يستطيع الدجال أن يدخلها، كما دعا لها النبي بالصحة ورفع عنها الوباء وأن لا ينزل بها الطاعون، فعن أبي بكرة عن النبي قال» لا يدخل المدينة رعب الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل

(١) المنهج الحركي في السيرة النبوية للغضبان وتفسير الظلال والتربية القيادية ج٢ ص٢١٥ وبعدها.

باب ملكان» وفي رواية عن أنس عنه ﷺ قال: «وليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له دخولها وما من باب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله منها كل كافر ومنافق»[1].

ومن فضائلها فضل الموت فيها: قال: ﷺ «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها[2].

وأنها كهف الإيمان وتنفى الخبث عنها: فالإيمان يلجأ إليها، عن أبي هريرة قال: قال: ﷺ «إن الإيمان ليأرِزُ (ينضم ويجتمع) إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها، والذي نفسى بيده لا يخرج منها أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير للخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد» وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ «إن المدينة طيبة تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الحديد أو الفضة» البخاري.

ومن فضائلها أن الله حفظها ممن يريدها بسوء: فقد تكفل الله بحفظها من كل قاصد إياها بسوء، فعن أبي هريرة قال: قال ﷺ «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع (ذاب وسال) كما ينماع الملح في الماء، المدينة حرم، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً

---

(١) مسلم ج٢ كتاب الحج باب أن المدينة تنفي شرارها رقم ١٣٨١ وبعدها والبخاري كتاب فضائل المدينة ج٤ رقم ١٨٦٩.

(٢) البخاري ومسلم والسيرة النبوية.

فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً»

هذه هي بعض الفضائل والخصائص العظيمة قد جعلت الصحابة يتعلقون بها ويحرصون على الهجرة إليها، والمقام فيها، وبذلك تكون قد تجمعت طاقات الأمة فيها، ومنها فُتحت مشارق الأرض ومغاربها.

التخطيط للهجرة
أسباب النجاح ومظاهره

لكل عمل من الأعمال أيّاً كان مظاهر تدل على نجاحه أو العكس، وهذا العمل الذي كان سببا في انتشار الإسلام وبناء قاعدة صلبة له، تمثلت في الهجرة النبوية المباركة، لها مظاهر نجاح، وعوامل ساعدت على نجاحها.

أولا: وضوح الرؤية عند الرسول ومَن معه

لما تحددت أهداف الهجرة وكانت الرؤية واضحة عنده ﷺ بنى خطته على أسس علمية عملية فمثلاً:

أ. بقصد الحفاظ على الدعوة، وضع الرسول ﷺ خطة الهجرة إلى الحبشة لحماية المسلمين الأوائل والحفاظ عليهم كقاعدة أولى للدعوة الإسلامية.

ب. بدافع حرية الحركة بدأ الرسول ﷺ في الاتصال بالقبائل والوفود بحثا عن النصرة، والخروج من تلك الدائرة الضيقة التي أحكم القرشيون غلقها فخرج إلى الطائف وشيبان وبنى بكر وغيرها من القبائل المجاورة لمكة والتي وصل عدد القبائل التي زارها النبي ﷺ أكثر من عشرين قبيلة.

وحتى يتيقن النبي من الأرض المفتوحة المهيأة لاحتضان الرسالة الإسلامية ركز ﷺ على:

أ- دراسة المواقع الأخرى التي من الممكن أن يذهب إليها.
ب ـ قام بالرحلة الاستكشافية إلى الطائف والحبشة -الهجرة الأولى والثانية- وثقيف وديار بكر وغيرها من الأماكن.
ج - تأكد له في النهاية أن يثرب هي أمل المستقبل في الإنطلاق والانفتاح على العالم تحقيقاً لمبدأ عالمية الدعوة الإسلامية.

ثانيا: الخبرة التامة بالواقع عنده ﷺ

كان من أهم عوامل نجاح الهجرة المعرفة السابقة والمعلومات الدقيقة التي توافرت لرسول الله ﷺ.
فمثلاً:
- معرفته ﷺ بطبائع النجاشى وعدله، ورجاحة عقله وحسن جواره هي التي دفعته إلى اتخاذ قرار الهجرة- المؤقتة- للمسلمين الأوائل إلى الحبشة.
- المعرفة بتاريخ الأنبياء السابقين كانت من أهم العوامل في إسلام (عداس) مولى عتبة وشيبة ابنى ربيعة، فمعرفة الرسول بنبى الله يونس بن متى وقريته (نينوى) هي التي فتحت قلب الرجل للإسلام وأكدت له صدق حديث محمد ﷺ.
- المعرفة بطبائع العرب وعاداتهم وتقاليدهم ومواثيقهم، هي التي جعلته يخطط لبيعتي العقبة الأولى والثانية على أسس علمية سليمة ويحقق من ورائهما أقصى استفادة ممكنة، فهو يعلم أن طبيعة هؤلاء لا يغدرون وأنهم أبناء الحرب، كما ذكروا عن أنفسهم.
- المعرفة بالإمكانيات المتاحة لديه ﷺ هي التي ساعدته على

الاستغلال الأمثل لهذه الإمكانيات، سواء كانت معنوية أو مادية.
– المعرفة بطبائع الرجال المحيطين به أثناء الهجرة، دفعته إلى التوظيف الأمثل لقدرات من معه، ووضع كلاً في مكانه بما يحقق أقصى استفادة ممكنة منهم، فالرجال الذين معه قليلون، فوظف جميع الطاقات ومن لهم صفات معينة كما فعل مع: أبو بكر وعلى وعبدالله بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط.
– المعرفة بالعقلية القرشية هي التي جعلته يتوقع المطاردة في طريقه ويتهيأ لها ويبنى خطته لمواجهتها، فكلّما أحكموا خطة تجاه النبي ودعوته، قام النبي بخطة مماثلة ومحكمة حتى يواجهها بأقل خسارة، وكل هذا تشريع لنا.
– المعلومات الدقيقة التي توافرت له ﷺ عن الأماكن التي يفكر في الهجرة إليها، وإلمامه بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في هذه المواقع مما ساعده على اتخاذ قراره بالهجرة إلى المدينة لمعرفته بأهلها، فلم يذهب إلى أي دولة أو قبيلة أو مكان آخر، حتى يعلم الجميع أن الإسلام ليس عبادات وفقط بل هو دين شامل لكل مناحي الحياة.
فكلما زادت المعرفة لدى القائد فإن هذه المعرفة تعفي الأفراد والمسؤلين من الوقوع في الأخطاء أو اتخاذ قرارات غير صحيحة. وهذا ما وضح في خطة الهجرة إذ أنها في كل مرحلة من مراحلها استندت إلى خبرات سابقة، ومعلومات متجددة، فحققت أهدافها.

ثالثا: اختيار التوقيت المناسب

لعامل الوقت أهمية متناهية في عملية التخطيط، وخصوصا إذا كان الأمر يتعلق بقضايا يتوقف عليها مصير أمة مثل قضية الهجرة.

فالتأخير في انتهاز الفرصة المناسبة أو اتخاذ قرار قبل موعده، يعرض الخطة للفشل مهما كانت القوى التي تساندها، ولقد أحسن ﷺ الاستفادة من عامل الزمن في رحلة الهجرة فمثلاً.

- تمت تهيئة المناخ داخل المدينة وأصبح الجميع هناك أنصار ومهاجرين في انتظار قدوم الرسول، حتى اليهود ﷺ، ومن هنا فقد تهيأت العقول والقلوب لاستقباله، ولكنه ﷺ اختار التوقيت الذي تأكد فيه أن أنصاره قد أصبح بأيديهم الزمام، ولا أحد يملك منعه أو الاعتراض على هجرته.

- أيضاً اختيار الرسول ﷺ الذهاب إلى بيت أبي بكر نهارا في وقت قيلولة في صيف ساخن، لا يخرج فيه الناس من منازلهم عادة، فوصل إلى هدفه دون أن تعترضه قوى الشر، ولو كان ﷺ قد خرج قبل أو بعد هذا الوقت لكانت قريش قد تبعته وأجهضت خطة الهجرة.

- خروجه ﷺ من بيته في توقيت مناسب بعد الثلث الأخير من الليل، حيث كان المشركون في انتظاره على باب بيته يترقبون خروجه لصلاة الفجر، وساعده السير في الليل على أن يقطع مع صاحبه المسافة حتى غار ثور دون أن ينتبه لهما أحد من المشركين، ولذلك لم يكلفوا أنفسهم بمطاردته إلا بعد أن طلع النهار.

- بقائه ﷺ في الغار ثلاثة أيام، كان من عوامل نجاح الخطة

لأن قريشا كانت قد هدأت ثائرتها، ويئس الكثير من فرسانها من المطاردة والثلاثة أيام لا هي كثيرة بحيث ينفد الزاد منهم أو يصعب على مَن يستطلع الأخبار الإتيان بما يريدونه، وليست قليلة إذ لو خرجوا من الغار قبلها فمن الممكن أن يلحق بهم الذين يطاردونهم من الكفار، والطريق خال ليس فيه أحد.

رابعا: القدرة على مواجهة الظروف والمتغيرات

واجه ﷺ في طريقه للهجرة بعض الظروف القاسية التي كان من الممكن أن تفسد خطة الهجرة أو تعطّلها فكان التخطيط المحكم.

– أخفى ﷺ بيعة العقبة حتى عن أقرب الناس إليه، إذ لم يُعلِم أحد بالبيعة إلّا عليّ بن أبي طالب والعباس عمه، وذلك لأن لكل واحد منهم دور في البيعة، وتيقن المبايعون أن أمرهم في الخفاء لم يطلع عليه أحد، وقد أخذوا حذرهم ودبروا أمرهم في جوف الليل، لكن يمنع حذر من قدر فقد انكشف الأمر وخرج من يصرخ بأعلى صوته: يا أهل الجُباجب (المنازل) هل لكم في مذمّم يقصد محمد ﷺ، والصبأة الصحابة معه قد اجمعوا على حربكم؟ وسمع رسول الله صوت هذا الصارخ فقال: أما والله لأفرغن لك يقصد أنه الشيطان[1].

– مبادرته ﷺ وطلبه من المبايِعين أن يرجعوا إلى رحالهم ويسارعوا في العودة إلى المدينة حتى لا يمسهم أحد من المشركين بسوء، وما إن كانت قريش قد تثبتت من الخبر، حتى كان أهل البيعة قد فروا

(١) انظر ابن الجوزي جـ١ ، صـ ٣٦١.

سالمين إلا رجلين وقعا في أسر قريش، وكان لهذا التصرف والقدرة على اتخاذ القرار في التوقيت المناسب أثره في نجاة الوفد من مذبحة كان يمكن أن تحدث في مكة، كما أنه ﷺ اختار وقت البيعة في الأيام الأخيرة من موسم الحج حتى إذا فرغوا من البيعة رجعوا إلى بلادهم دون أي أذى.

- اتخاذ القرار المناسب في وقته: وصل المشركين إلى غار ثور وتأكيد خبير الأثر المرافق لهم أن محمداً لم يتجاوز هذا المكان إلا أن يكون نزل إلى الأرض أو صعد إلى السماء، وتركز البحث في هذه المنطقة، وكان الموقف يتطلب الشجاعة والثقة في معية الله فكان ﷺ في هذا الموقف الصعب نموذجا للشجاعة للثقة والصمود.

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصرنا فقال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وصل ﷺ المدينة وحين دخلها المهاجرون كانت موبوءة بالحمّى، فمرض بعض الصحابة، ولم يجد البعض الآخر المناخ الذي يحبه، فاستيقظت غرائز الحنين إلى مكة.

ماذا يفعل الرسول وبعد أن اقتربت سفينته من شاطئ الوصول تتعرض لريح عاصف تكاد تُضيع كل شئ؟

- أخذ النبي يطالب أصحابه بالترغيب في المزيد من الجهد والتضحية لنصرة الإسلام، فقال ﷺ «لا يصبر على أجواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كُنت له شفيعا وشهيداً يوم القيامة، ولا

يدعها رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه»[1].
ثم أخذ يدعو الله أن يزرع في قلوب الصحابة حب المدينة كحبهم مكة، «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل حماها واجعلها بالجحفة»[2].
وبهذا نجح ﷺ في رفع الروح المعنوية بين المسلمين، فاتجهت قواهم إلى تأسيس المجتمع الجديد بدلاً من البكاء على الذكريات.
– ما أن استقر ﷺ في المدينة حتى بدت بوادر أزمة أخرى كادت تعصف بالأخضر واليابس وتجعل كل الجهود هباء، إذ وجهت قريش رسالة إلى عبدالله بن أبي بن سلول بصفته زعيم المدينة يهددونه ويتوعدونه: (إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلُنّه أو لتُخرِجُنّه أو لنسيرنّ إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتليكم ونستبيح نساءكم).
ثم وجهت رسالة أخرى إلى المهاجرين تقول: (لا يغرنكم أنكم أفلتّم منا إلى يثرب سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضرائكم في عقر داركم) [3]
فلما بلغ ذلك ابن سلول اجتمع ومن معه على قتاله ﷺ والمهاجرين، تهيأت الفرصة أمام عبدالله بن أبي سلول ليُهج الناس ضد الرسول وأصحابه، فها هم يجرون على المدينة الخطر العظيم، ولا حل لعودة الوُدّ مع قريش إلا بإعادتهم إليها، وإخراجهم من

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١١٣).
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢١٠).
(٣) رواه أبو داود في سننه .

المدينة، بلغ ذلك رسول الله ﷺ فكيف يواجه الموقف؟ وهذا هو دأب أعداء الدعاة في كل زمان ومكان يسلطون إعلامهم وأعوانهم لشيطنة الدعاة ثم ينقضّون عليهم فلا يجدوا لهم نصيراً ممن استمالهم الإعلام وأعوانه وهذا ما نراه الآن في زماننا.. «أتواصوا به بل هم قوم طاغون» (الذاريات: ٥٣)

إذن المدينة الآن على أبواب حرب ضروس تعيد أيام (بعاث) والقوم الذين هم مع عبد الله بن سلول لا يمكن استمالتهم بعاطفة الدين فهم ليسوا بمسلمين، والمسلمون من الأنصار عرضة لأن يتزعزع إيمانهم تحت دواعي القبلية والعصبية لمدينتهم فينضموا لابن أبَيّ، والمهاجرون قلة لا يستطيعون مواجهة أخطار خارجية وداخلية..، وبحنكة الأريب ضرب ﷺ على نفس الوتر الذي بدأت به قريش، وتر الاستفزاز وإثارة كوامن البطولة والشجاعة، بعد إثارة عواطف الأخوة والعصبية فخاطب ﷺ هؤلاء الذين تجهزوا للحرب قائلاً: (لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم)[1] ما أن سمع القوم هذه الكلمات حتى تفرقوا، وتوقف المخطط لإنهاء محمد واصحابه على يد أهل المدينة دون أن تفقد قريش شيئا، وهنا تظهر القدرة على مواجهة الظروف الصعبة والفهم الصحيح لطبيعة النفس الإنسانية، لا يرضى العربي أن يُتهم بالجُبن أو الخوف كيف يرضى أن يقبل شروط قريش

(١) انظر منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية صـ ١٩٦ وانظر أبو داود : خبر بني النضير.

ويسلم لهم أهله وإخوانه؟
تلك كانت حكمة الرسول في مواجهة الظروف والمتغيرات، والتصدي لكل المواقف الخطرة بثقة المؤمن بربه وحنكة الحكيم.

خامسا: إخلاص الجنود لقائدهم وفكرتهم

لا يُنكر أحد أن كل العوامل السابقة لعبت دورا مهما في نجاح خطة الهجرة، لكن عامل الإخلاص من كل هؤلاء الذين ساهموا في خطة الهجرة كان له الدور الأعظم.
فعن أبي بكر الصديق حدث ولا حرج، رجل يسخو في سبيل الله بكل نفيس عنده وكل محبب لديه، يخرج للهجرة فيحمل ماله كله فيسأله ﷺ يا أبا بكر ماذا تركت لأبنائك؟ يقول تركت لهم الله ورسوله.
وحيمنا يسير مع الرسول في الطريق يمشى مرة أمامه ومرة خلفه، ثم عن يمينه وأخرى عن يساره، فيسأله ﷺ عن سر ذلك فيقول: يا رسول الله أذكر الرَّصَد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، وعين يمينك وعن يسارك، لا آمن عليك يا رسول الله.
ويقترب الموكب من الغار ويَهِمّ ﷺ بالتقدم لدخول الغار فيسبقه أبو بكر ويقول: لا يا رسول الله حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شئ أصابني دونك[1]. فأيّ إخلاص؟! وأيّ حُب هذا؟!
ولم يكن هذا الإخلاص للفكرة عند أبي بكر فحسب، بل كأنما انتقلت عدوى الإخلاص إلى كل أسرة أبي بكر، فها هي ابنة أبي

(١) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ١٨٠).

بكر أسماء تضرب مثلاً أعلى في التضحية والفداء، كانت حاملاً وقتها بعبد الله بن الزبير تسير وحيدة في جوف الليل وفي الصحراء المترامية تحمل الزاد وتقطع المسافات لتصل إلى غار ثور، فتوافي رسول الله ﷺ وصاحبه بما يساعدهما من الزاد على الاستمرار في الرحلة المباركة.

عَلِمتْ ـ رضي الله عنها ـ أن الركب سيغادر الغار إلى المدينة فقامت بتجهيز الزاد الكثير للسفر الطويل ولما لم تجد ما تربطه به شقت نطاقها نصفين، علقت الزاد بأحدهما، وانتطقت بالنصف الآخر، فيدعو ﷺ لها «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة» ولهذا سُمّيت بذات النطاقين.

عادت بعد أن ودّعت الركب تطير فرحا ببشرى رسول الله ﷺ وإذا بطرقات عنيفة على باب الدار وإذا نفر من قريش فيهم أبو جهل ـ لعنه الله ـ يسألونها! أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ وهي ترد: لا أدري أين أبي.

وهي صادقة، فمنذ أن ودّعتهما لا تعرف أي طريقٍ سلكا، لكن ما حدث لها ما أوهَن من عزيمتها ولا من إصرارها على إتمام رسالتها في خدمة النور الذي ملأ قلبها، إنها بنت أبي بكر.

عليّ بن أبي طالب يطلب منه النبي ﷺ منه أن ينام في فراشه ليلة الهجرة لتضليل المشركين، فيبادر عَليٌّ سريعاً لهذه المهمة، يرى المشركين يحيطون بالدار من كل جانب يراقبون النبي ويتَحسّسون حركاته وتقلبه في فراشه في انتظار يقظته حتى تتناوشه سيوفهم، لا يمنعه ذلك من أن يتسجى ببرد الرسول وينام في فراشه، أي إيمان

هـذا؟ وأي عقيـدة وأي إخـلاص؟ إنه يـرى بعينيـه المـوت، ويـدرك أن القوم سيقتلونه لا محالة، ظنا منهم أنه محمد وإذا تأكد لهم أنه ليس هو محمد فربما يقتلونه انتقاماً، لأنه أزاحهم عن بغيتهم، وهو قتلهم رسول الله، فلما أصبح الصباح قام عليّ من الفراش فعرفوه فسألوه عن رسول الله فقال: لا أدري، أمرتموه بالخروج فخرج، فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه.. بهذا كان عَليّ أول مَن باع نفسَه لله ووقَي بها الرسول ﷺ (١)

وهـذا مصعب بن عمير المعلم الأمين الذي أرسله ﷺ إلى أهل يثرب يعلمهم أمور دينهم.. يسيطر عليه الإخلاص لله ولدعوته حتى يضحى بكل شيئ، وينجح في نقل الناس من موروثات الجاهلية إلى نظام الإسلام، لا بالأساليب الملتوية ولا بالخداع ولا بالوعود الكاذبة كما يفعل المنصِّرين الآن وإنما بالإيمان والعمل والسلوك القويم.

سادسا: التهيئة والإعداد النفسي للمهاجرين والأنصار

نجح ﷺ في أن يهيئ نفوس المسلمين للهجرة، ويحببها إليهم برغم ما فيها من فراق الأهل والأوطان، هيأهم لها حين زرع في نفوسهم أن الهجرة عبادة من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله، وأنها من أفضل الأعمال في الدنيا.. فانطلقوا في هجرتهم موقنين أنهم في جهاد، فأغلق على الشيطان سبيله إلى قلوبهم، وجعلهم محَصَّنين ضد وساوسه، يحرسهم الإيمان من التَبَرُّم أو الضيق أو

(١) المقريزي : إمتاع الأسماع صـ٥٧.

الحنين للأهل والأوطان.

وهيأهم باليقين أنهم ضيوف على الله وفي كفالته، ومن كفالة الله لهم أن ضمن لهم الأرض الطيبة التي تمدهم بالقوة والعون، كما ضمن لهم سعة الرزق الذي ضاق عليهم في مكة من حصار المشركين، وضمن لهم أن من مات في هجرته فهو شهيد وقد وقع أجره على الله، «وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النساء: ١٠٠)

وهيأهم حين أكد لهم أن الدعوة في مكة لن تنتهي بالهجرة بل هي مرحلة ضرورية تزيد من قوة الإسلام.

فماذا كانت النتيجة بعد هذه التهيئة؟ المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهل والوطن، وخرجوا من مكة وقد تركوا كل شيء، وما أسِفُوا على شيء، وانطلقوا في طريق الهجرة يؤثرون الغربة مع العزة والكرامة على الإقامة في الوطن مع الضَّيم والإذلال، وقد نزلت آيات القرآن الكريم تعلي من شأنهم وتتحدث بما لهم من مكانة سامية عند الله، «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠)

حتى أنّ كل واحد من أصحاب الرسول كان يتسابق لينال شرف الهجرة وليُسَجَّل عند الله في سجل المهاجرين، في الوقت نفسه

كان القرآن الكريم الذي يردده مصعب ليل نهار قد هيأ أهل يثرب للقاء إخوانهم المهاجرين، وما من يوم يمر إلا ويزداد الشوق في قلوبهم لهذا اللقاء.

لقد تأكد الأنصار أن أصحاب الحظ الأوفى هم أول من يفوزون باستقبال هذا الرسول وهذه الرسالة، فكانوا ليل نهار على شغل شاغل يرقبون الطريق ويتنسمون الأخبار، ويخرجون بأطفالهم ونسائهم ليروا النور القادم إليهم، وكل منهم مستعد لتقديم أغلى ما يملك في سبيل الله...

كلّ هذا لأن التهيئة المعنوية التي تلقوها قد نزعت منهم حب النفس وأبدلتهم حب الله ورسوله والماهجرين، ولذلك مدحهم القرآن الكريم «وَالَّذِينَ تبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر:٩)

عناية الله مع الأخذ بالأسباب: شملت العناية الإلهية رسول الله ﷺ في كل مرحلة من مراحل الهجرة.

أ- قبيل الهجرة: قيض الله لرسوله وفد الأنصار الذي استمع لدعوته فانشرحت صدورهم للإسلام، وانطلقوا إلى المدينة يبشرون بالدين الجديد، وبعد بيعة العقبة الأولى شاءت العناية الإلهيَّة، أن ينجُوَ وفد المدينة بعد أن علمت قريش بأمرهم وطاردتهم رغبةً منهم في وقف المد الإسلامي في المدينة.

من عناية الله لدعوته: أن جعل الله اليهود جنداً من جنود الله

يساهمون في نجاح خطة الهجرة، وذلك لأنهم كانوا يستفتحون على أهل المدينة بأنه سيظهر في هذا الزمان نبيّ وأن اليهود سيتبعونه ويؤمنون به ويقاتلونهم معه، لكن الله ـ سبحانه ـ لم يوفقهم لهذا، وكانوا دائماً ما يذكرون ذلك لأهل المدينة من الأنصار، مما جعل الأنصار يبادرون بالفوز بهذا النبي الذي توعدتهم به يهود، حتى قال الأنصار الأوائل لما رأو رسول الله وسمعوا منه، هذا والله لهو النبي الذي توعدتكم به يهود، فلا يسبقونكم إليه، فكان اليهود بهذا جند من جنود الله.

وُفّق الرسول ﷺ في اختيار مصعب بن عمير ليكون مع وفد المدينة، وليكون أول سفير للإسلام في المدينة، فينجح بلباقته وحسن سياسته وقدراته العلمية والإيمانية في تهيئة المناخ الملائم للهجرة.

ب- مرحلة الإذن بالهجرة: إخبار الله لرسوله بما يدبره له كفار مكه، فقد كانت العناية الإلهية ترصد أهل الكفر وهم يمكرون مكرهم في دار الندوة، ليتخلصوا من رسول الله ﷺ فأوحى الله إلى نبيه بما يدبرون، وما كانت لتجدي كل أنواع الخطط وكل مبادئ التخطيط العلمي لو أن الرسول لم يعرف بأمر المشركين وخطتهم.

ج- مرحلة الإنطلاق: وإذا كانت أحداث الهجرة قد كشفت لنا عن عظمة شخصية الرسول وقدرته على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، كما كشفت عن الصمود والإصرار من الصحابة على نجاح الخطة، فإن تلك العناية الإلهية التي أحاطت بحادثة

الهجرة كان لها الفضل الأول والأخير في نجاحها.
فرغم إيماننا بأهمية الإعداد والتخطيط والتدبير البشرى للهجرة.. إلا أننا يجب أن نؤكد أن التوفيق من الله أولاً وأخيراً، وإلا فأي قدرة تلك التي جعلت عيون كل الفتيان الواقفين على باب رسول الله، وعددهم كثير، يغزوها النوم في وقت واحد، وكيف لم يتحركوا حينما جاءهم آتٍ لم يكن معهم قائلا لهم ما تنتظرون ها هنا؟ «خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه التراب وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذ عليها تراب، ثم جعلوا يستطلعون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائم عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[1]»، إنها بالتأكيد العناية الإلهية والتوفيق الرباني الذي تصبح الأعمال بدونه هباء، ولكن من المسَلَّم به أن هذه العناية وتلك الإلهامات لا تواكب إلا العاملين الذين يبذلون قصارى الجهد ويأخذون بالأسباب ثم يسلمون الأمور لله رب العالمين.
وتستمر العناية الإلهية مع الرسول وصاحبه في الأيام الثلاثة التي قضيت في الغار، واستعان المشركون بأحد قَصّاصي الأثر واسمه (مكرز بن علقمة) من خزاعة فتتبع الأثر حتى جاء عند الغار، فقال: «هذه قدم محمد، وهذه قدم أبي بكر، وما تجاوزا هذا المكان إلا أن يكونا قد صعدا إلى السماء أو دخلا في جوف الأرض».

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية ، ص ١٨٨.

وسار أحدهم حتى وقف على باب الغار، فحزن أبو بكر وقال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له الرسول مطَمْئِناً إياه « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا»، كانت هذه واحدة من العناصر الربانية التي واكبت رحلة الهجرة. كما يصورها القرآن الكريم فيقول سبحانه: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا» (التوبة: ٤٠) اً

وفي الحقيقة فإن الغار قد حفل بفيوضات ربانية يوجزها فضيلة الشيخ الشعراوي فيقول «إنهم لم يدخلوا الغار ولم يفكر أحدهم أن يقلب الحجر أو يفتش عن محمد وصاحبه، مع أن هذا أول ما يتبادر إلى الذهن، فما دامت آثار الأقدام قد انتهت عند مدخل الغار كان يجب أن يفتشوا داخله، لكن أحداً لم يلتفت إلى ذلك»، نظروا تحت أقدامهم فلن يروهما، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي حفظهما.

يقول الشيخ الشعراوى: يقول الحق سبحانه وتعالى **[وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا]** أنه لم يخطر على بال القوم ولا فكرهم أن ينظروا في الغار، مع أن آثار الأقدام انتهت إليه، لكن الله طمس على قلوبهم وصرفهم عن هذه الفكرة بالذات، ولم تخطر على بالهم.

أيضا من جنود الله سراقة بن مالك وذلك حين استطاع وهو من الكفار أن يلحق برسول الله ﷺ وأبي بكر رضى الله عنه وهما في طريقهما إلى المدينة، وكلما حاول الاقتراب منهما ابتلعت الأرض

قوائم فرسه في الرمال [1].

وعلى آية حال مادام الحق سبحانه وتعالى قال: **[بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا]** وقال: في آية أخرى **[وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ]** {المدَّثر:٣١} إذن فالجنود الذين سخرهم الله لرسوله ﷺ ليحفظوه خلال الهجرة لا يعلمهم إلا الله، وكل شئ في هذا الكون من جنود الله، فهو سبحانه وتعالى الذي سخر الكافر لخدمة الإيمان، فكل ما رصدته قريش لم يُغرِ دليلهم عبد الله بن أريقط، بل أدخل الله على قلب الكافر ما يجعله أميناً على رسول الله[2].

يقول الشيخ محمد الغزالي: « من صُنع الله لنبيه أن تعمى عنه عيون أعدائه، وهو منهم على مد الطرف، ولم يكن ذلك محاباة من القدر لقوم فرطوا في استكمال أسباب النجاة، بل هو مكافأة من الله لقوم لم يَدَعُوا وسيلةً من وسائل الحذر إلا وعملوها وقاموا بها على أكمل وجه، وكم من خطة يضعها أصحابها فيبلغون بها نهاية الإتقان، تمر فترات عصيبة لأمور فوق الإرادة أو وراء الحسبان، ثم تستقر أخيراً وفق مقتضيات الحكمة العليا، وفي حدود قوله تعالى: **[وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]** {يوسف:٢١}[3].

كفار قريش يسألون أم مبعد عن رسول الله، وكان عندها قبل قليل، وكان من الممكن أن يدركها الخوف فتَدُلّهم على الطريق الذي ذهب فيه، وكان من الممكن أن ترشدهم لرغبة في الحصول

(١) مسند الإمام أحمد (٤ / ١٧٦).

(٢) راجع تفسير الشعراوى : الجزء الثامن، ص ١٢٥ ما بعدها.

(٣) فقة السيرة للشيخ محمد الغزالي: ١٧٦.

على بعض المال، وهي في هذا الفقر المدقع، لكن الله سبحانه وتعالى يضع على لسانها هذه الجملة، تسألوني عن أمر ما سمعت به من قبل!!

ويُلحّون ويثقلون في السؤال، ويلهمها الله ما تخلص به منهم: «لئن لم تنصرفوا عني لأصرخن في قومي عليكم»، من الذي أودع هذه المرأة كل هذه المِلَكة من رباطة الجأش والشجاعة؟ ومن الذي أودع في قلبها حب هذا الذي جلس في خيمتها لحظات فقط؟ ومن الذي جعلها تنسى تحقيق مغنم سريع متاح في سبيل الحافظ على رجل لا يَمُتُّ! لها بأية صلة؟ إنها عناية الله وحده.

من مظاهر النجاح في الهجرة

نجحت خطة الهجرة نجاحا يعتبر بمقاييس الزمن إعجازاً، وحققت أهدافاً جعلتها تستحق أن تكون بداية للتاريخ الإسلامي، فما مظاهر هذا النجاح؟

١- لم تعد قريش حاجزاً في وجه الدعوة الإسلامية، إذ أسقطت الهجرة رهبتها من نفوس المستضعفين والخائفين، كما أسقطت هيبتها من قلوب العرب، فلم تعد القبائل العربية مثلما كانت عليه من قبل من الخوف من قريش، فبدأت الغشاوة تنقشع عن عيونهم، والرّان يخرج من قلوبهم، فنظروا إلى محمد ﷺ ودعوته نظرة محايدة خالصة من تأثير قريش وضلالاتها، فدخلوا في دين الله أفواجاً، وهكذا جاءت قبائل العرب من كل مكان يبايعون رسول، وهكذا دائماً لا ينتفش الباطل وينتفخ إلا في غيبة أهل الحق وإذا قام الحق وأهله يزول الباطل.

٢- بالهجرة ارتفعت مكانة المدينة، وأصبحت محط الأنظار، وتحت لوائها توحدت الجزيرة العربية، وأصبحت هي عاصمة الدولة الإسلامية الوليدة، على أساس الدين لا أساس القبلية، ومنها انطلق الجميع لأداء رسالتهم الإسلامية في كل بقاع الأرض، وأصبح للحق قوة تحميه وتدافع عنه في وجه المعتدين وهكذا كلما بدأت الدولة الحق في القيام والبناء بدأت دولة الباطل في الانهيار والإنحسار.

٣- بالهجرة تغيرت حياة العرب من قوم تقوم بينهم الحروب ويسفكون الدماء لأتفه الأسباب، إلى أصحاب قيم ومبادئ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقويت روابط الأخوة والمحبة بينهم، وزالت بواعث الحقد والكراهية والانتقام، حتى إن الأنصار والمهاجرين اقتسموا دورهم وأموالهم واشتركوا في مشاعر واحدة متعاونين متراحمين، وقد حررهم الإسلام من التقاليد والجهالة، وجمعهم على الأخلاق الحسنة، فعَمّت الفضيلة واختفت الجاهلية..

يقول الفيسلوف الإنجليزي (توماس كارليل) عن العرب: «كانوا قوما يضربون في الصحراء لا يُعتَنَى بهم عدة قرون، فلما جاءهم النبي ﷺ صاروا قبلة الأنظار في العلوم ولم يمض قرن بعد الإسلام حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم».

ويقول المستشرق الانجليزي (توماس أرنولد) في كتابه دعوة الإسلام[1] «لقد تمكن محمد بعد أن هاجر إلى المدينة أن يجعل نفسه على رأس جماعة من أتباعه ليست كبيرة العدد، أخذوا في النمو والتقدم وظلوا يتطلعون إليه، ويعترفون به زعيما وقائداً يحبونه أكثر من أنفسهم، وهكذا باشر محمد ﷺ سلطة زمنية كالتي يمكن أن يباشرها زعيم آخر مع فارق واحد وهو أن الرابط الديني بين المسلمين كان يقوم مقام رابطة الدم والأسرة، فأصبح الإسلام نظاماً سياسياً له صبغة متميزة تماماً وكانت جهوده موفقة إلى اعتناق بنى وطنه وحدانية الله، وإلى هدم نظام الحكم القديم في مكة مسقط رأسه، فقضى على الحكومة والأرستقراطية القبلية

(١) الطراز الحسيني: نبذة عن السيرة النبوية نقلا عن الهجرة النبوية الهامات ربانية.

التي كانت الأسر الحاكمة تتوزع سياسة الشئون العامة تحت لوائها، وشعارها «أخي أولى بهذا مني».

٤- الوصول لعالمية دعوة الإسلام: وبهذا فإن الهجرة أعطت للإسلام الحركة داخل الجزيرة العربية وخارجها، فقد بادر الرسول فور استقراره بالمدينة إلى ممارسة العمل داخلها وخارجها، ومن ثم إلى ممارسة الاتصالات المباشرة مع القبائل العربية المجاورة والبعيدة، عن طريق الرسائل، كما بادر بإرسال السفراء إلى الملوك والرؤساء في الدول المجاورة [1]، ولقد أتت هذه الاتصالات بنتائج إيجابية كان لها صداها طوال مراحل التاريخ الإسلامي، ولا يكون ذلك إلا في ظل خلافة إسلامية يُحَكِّم أبناءها شرع الله فيهم، وبهذا تكون صاحبة الوراثة الممنوحة من الله لهم. «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (الأعراف: ١٢٨)

٥- وبحق فإن الهجرة كانت هي السبب في انتصارات المسلمين الكبرى فيما بعد، وفي الفتوحات الإسلامية في دمشق وبغداد ومصر والقيروان وفارس وقرطبة، أو إن شئت فقل من الهند شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غربا، حتى وصلت لكل العالم، يقول الإمام محمد عبده «أظلت ولاية الإسلام ما بين نقطة الغرب الأقصى إلى حدود الصين، في عرض ما بين (فازان) من جهة الشمال وبين (سرنديب) تحت خط الأستواء أقطاراً متصلة، وديارا متجاورة، يسكنها المسلمون وكان لهم فيها السلطان الذي لا يُغلب، أخذ

(١) الرسائل إلى الملوك كانت أواخر السنة السادسة من الهجرة حين رجع الرسول من الحديبية (س).

بصولجان الملك منها ملوك عظام فأداروا بشوكتهم كرة الأرض إلا قليلاً نحو شرع الله، ما هُزِمَ لهم جيش، ولم يُنَكس لهم عَلَم، ولم يُرد لهم قول على قائلهم، قلاعهم وحصونهم متلاقية، ومنابتهم ومغارسهم في سهولهم وأخيافهم رابية مزدهية بأنواع النباتات وبأصناف الأشجار، صنع أيدي المسلمين بصنائع سكانها وبدائعهم، وتفاخرها بشموس الفضل وبذور العلم، ونجوم الهداية من رجال لهم المكان الأعلى في العلوم والآداب[1].

إذن فالهجرة هي التي حققت عالمية الإسلام ونشرت مبادئه في كل مكان، فهل يرجع المسلمون الآن إلى إسلامهم حتى يعيدوا للإسلام مجده، ويخلصوا العالم من براثن الرأسمالية والصهيونية العالمية أو الشيوعية؟

٦- أَعَادت الهجرة النبوية صقل الخامات البشرية في العالم الإسلامي، وساعد الاستقرار على إبراز المواهب والطاقات التي كانت كامنة تحت ظلمات الجاهلية والكفر والإلحاد والخلود إلى الأرض، فانطلقوا وقد استضاءوا بنور الإسلام، عبقريات تفتح البلاد وتقيم العدل، وتؤسس الدول في عداد العظماء في كل العصور، ولولا الهجرة ما وجد هؤلاء مناخ الانطلاق، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ « بَعث رسول الله ﷺ في الإنسانية المحتضرة حياة جديدة عمد إلى الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناءها، ولا يعرف محلها، وقد أضاعتها الجاهلية والكفر والإخلاد

(١) الشيخ محمد عبده: المسلمون والإسلام ص٢٣.

إلى الأرض فأوجد فيها – بإذن الله– والإيمان والعقيدة الحضارة والمدنية، وبعث فيها الروح الجديدة، وأثار دفائنها، وأشعل مواهبها، ثم وضع كل واحد في محله، فكأنما خُلق له، وكأنما كان المكان شاغراً لم يزل ينتظره ويتطلع إليه، وإنساناً متصرفا، وكأنما كان ميتاً لا يتحرك فعاد حياً يُملى على العالم إرادته، وكأنما كان أعمى لا يبصر الطريق فأصبح قائداً يقود الأمم، «أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام: ١٢٢).

اعتمدت الأمة العربية الضائعة على أناس من غيرها، فما لبث العالم –بعد الإسلام – أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوائح التاريخ، فأصبح عمر بن الخطاب الذي كان يرعى الإبل لأبيه، ولا يحسب له أقرانه حساباً، إذا به يفاجأ العالم بعبقريته وعصاميته ويدحر كسرى وقيصر عن عروشهما، وأسس دولة إسلامية تجمع بين ممتلكاتها، وتفوقها في الإدارة وحسن النظام، فضلاً عن الورع والتقوى والعدل الذي لا يزال فيه المثل السائر، رآه بعض الرسل من قِبَل بعض الدول نائماً تحت شجرة وهو أمير المؤمنين فقال: الرجل متعجبا منه «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر» أيُّ ورعٍ وأيُّ تقوى تجعله حاكماً . بالدين . للدنيا وينام في ظل شجرة.

ثم لم يلبث العالم المتمدين أن يرى من هذه المواد الخام المبعثرة التي استهانت بقيمتها الأمم المعاصرة، وسخرت منها البلاد المجاورة،

فلم يلبث العالم أن يرى منها كتلة لم يشهد التاريخ البشرى أحسن منها اتزانا، كتلة فيها الكفاية التامة في كل ناحية من نواحي الإنسانية، كتلة هي في غنى عن العالم، وليس العالم في غنى عنها، وصنعت مدنيتها وأسست حكومتها وليس لها عهد بها، فلم تضطر إلى أن تستعير رجلا من أمة، أو تستعين في إدارتها بحكومة، أسست حكومة تمد رواقها على رقعة متسعة من قارتين عظيمتين، وملأت كل ثغر وسدت كل عَوَز برجل يجمع بين الكفاءة والديانة والقوة والأمانة، برجل من الرجال الأكفاء فكان منها الأمير العادل، والخازن الأمين، والقاضي المقسط، والقائد العابد، والوالي الورع، والجندي التقي..، والكل يسمع ويطيع في طاعة لله.

لقد وضع ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشري، فانفتح على ما فيه من كنوز وعجائب، وقيم ومواهب، أصابت الجاهلية في مقتلها وصميمها، وأرغم العالم العنيد بحول الله تعالى على أن ينمو نمواً جديدا ويفتتح عهداً سعيداً، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال في جبين التاريخ[1].

لا شك بعد هذا أن الهجرة كانت بداية انطلاق الإسلام إلى كل الآفاق وفاتحة خير لبناء الدولة الإسلامية.. وبُشرى لتخليص المستضعفين من براثن الظلم والطغيان، وإرهاصة قيام الحضارة الإسلامية، لهذا كان الإصرار من المسلمين على أن تكون الهجرة وليس بعثة الرسول أو وفاته هي بداية التاريخ الإسلامي.

إن إلهام عمر بن الخطاب وصدق فراسته في الاعتداد بالهجرة

(١) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٠٨ وما بعدها.

وجعلها بداية التاريخ الإسلامي، كان في محله وموضعه، لقد غيرت الهجرة لأنها كانت أهم أحداث التاريخ، فيا له من حدث ويا لها من مواعظ ودروس للأمة الإسلامية.

الهجرة النبوية دروسٌ ومواقف
الدعوة في أحلك الظروف وأصعب الأوقات

محمدٌ ﷺ علم تمام العلم وتيقن عين اليقين أن السباق قد بدأ وأن المتسابقين قد أعدوا العدة، وتهيئوا بكل ما يملكون من قوة، ولكن من هو المستهدف هو رسول الله حياً أو ميتاً، وثمن السباق مائة ناقة لمن يصيب هذا الهدف المنشود، لكنه رجل ليس ككل الرجال، إنه رجل صنعه الله على عينه وأرسله إلى الناس كافة ليدعوهم إلى الله تعالى، فلم يتباطأ فيما أُمر به، أمره الله بالدعوة إليه وبتبليغ رسالته، فوقف له المشركون بكل ما أمكنهم من قوة، وأرادوا أن يشغلوه عنها بكل ما أوتوا، لكن كل هذا لم يشغله أبداً عن دعوته وهدفه، ففي الطريق لقى ﷺ بُرَيْدَة بن الحصيب الأسلمي ومعه نحو ثمانين بيتًا، فدعاهم جميعاً إلى الإسلام فأسلموا، وصَلّى بهم ﷺ العشاء الآخرة فصلوا خلفه، وأقام بريدة بأرض قومه حتى قدم على رسول بعد أُحُد. كذلك قابل النبي لِصَّان في الطريق فقال لهما مَن أنتما؟ فقالا المِهَانان؛ فقال لهما بل أنتما المكرمان؛ ثم دعاهما إلى الإسلام فأسلما، كلّ هذا والنبي طريداً وحيداً لم يشغله عن دعوته أي شئ.

هذا واجب كل مسلم من أمة النبي محمد وذلك لقوله تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْآمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُون» (آل عمران:١١٠)

في قيادة الأرواح والتعامل مع النفوس

يظهر لنا الحب العميق الذي يسيطر على قلب أبي بكر لرسول الله في الهجرة المباركة، كما يظهر واضحاً وجلياً أيضاً حب سائر الصحابة أجمعين لحبيبهم المصطفى ﷺ، وهذا الحب إنما كان نابعا من القلب، وبإخلاص لم يكن حب نفاق أو نابعا من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة تأتي، أو رهبة من مكروه قد يقع، وإنما كان لهذا الحب أسبابه؛ ومن أسباب هذا الحب له ﷺ صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهر لينام، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، وهو يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، كيف لا وقد صنعه الله على عينه واصطنعه لنفسه، وقد قال فيه، «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (آل عمران:١٥٩) وقال فيه، «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم:٤) نعم إن القيادة الرشيدة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل الأجساد، وعلى قدر الإحسان إلى الجنود تكون المحبة الصادقة المخلصة للقائد، فقد كان ﷺ رحيماً شفوقاً بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم الصحابة واطمأن على الجميع سواء من بقي بمكة أو من هاجر إلى المدينة..؛

أمانة الداعي

ويظهر ذلك جليّاً في حال هؤلاء المشركين، إنهم الذين كانوا يكذبونه ﷺ هم أنفسهم مَن كانوا يضعون أماناتهم عنده فها هو ﷺ يترك المشركون عنده ودائعهم مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، وهذا دليل قاطع يدل على تناقض هؤلاء، والعجيب أنهم وفي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر، ومجنون وكذاب.. إلى غير ذلك من الادعاءات الكاذبة، في الوقت نفسه لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانةً وخُلُقاً وصدقاً، فها هم لا يضعون أموالهم أو أى شئ يخافون عليه إلا عند النبي، لا لشئ إلا لأنه قدوة حسنة للجميع، وهي وصية للدعاة اليوم انظروا لأمانته ﷺ وصدقه ولنتعلم منه ونقتدي به، والكل يعترف بذلك حتى في أشد وقت يعترضون عليه فيه، مما يدل على أن كفرهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه وإنما كان بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم ولقد صدق الله تعالى إذ يقول: «قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» (الأنعام:٣٣).

من أهم دروس الهجرة
العفة عما في أيدي الناس

فها هو ﷺ لم يقبل من أحب الناس إلى قلبه سيدنا أبي بكر رضى الله عنه صدَقَةً ولو كانت شيئا يسيرا، ثم استقر أن يكون ثمن الدابة دَينَاً في ذمته، وهذا موقف رائع واضح يدل على أنه لابد على حَمَلة الدعوة أن يكونوا متعففين عما في أيدِ الناس، ولاينظرون لما في يد غيرهم، ولا ينبغي أبداً أن يكونوا عَالةً على أحد في وقت من الأوقات، فهم دائما مصدر للعطاء في كل شئ، إن أيديهم دائماً لابد وإن تكون هي العليا، وهكذا أصر ﷺ على أن يأخذ الراحلة من أبي بكر بالثمن، وسلوكه ذلك هو ترجمة حقيقة لقوله تعالى في كثير من آيات القرآن حكاية عن الأنبياء السابقين،»«يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي» (الأنعام:٥١)

إن الذين يحملون العقيدة الإيمانية ويبشرون بها ويدعون إليها الناس، ما ينبغي أبداً أن تمتد أيديهم إلى أحد إلا الله تعالى، لأن هذا يناقض ما يدعون إليه، وقد تعود الناس أن يسمعوا لغة الحال لا لغة المقال.

إن الصوت الذي ينبعث من حنجرة ورائها الخوف من الله، والأمل في رضاه، غير الصوت الذي ينبعث لتلقي دراهم معدودة، فإذا توقفت الدراهم يتوقف مباشرة الصوت الذي يبلغ.

كذلك لما عرض عليه سراقة بن مالك بقوله «هذه كنانتي فخذ منها سهماً وإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك» فقال له النبي جزاك الله خيراً لا حاجة لي فيها» فحين يزهد الدعاة فيما في أيد الناس يحبهم الناس، وحين يطمعون في أموالهم ويتقربون من الأمراء والسلاطين ينفر منهم الناس وينفضون عنهم، وهذا موقف بليغ للدعاة إلى الله وصدق النبي ﷺ لمن سأله قائلاً «يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس: قال له ﷺ ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد في ما في أيدي الناس يحبك الناس» رواه ابن ماجه.

قيادة حكيمة وجنود مخلصون

ربَّى النبي ﷺ أناسا مخلصين أعطوا كل ما يملكون لدعوتهم، أبو بكر رضى الله عنه عند الهجرة، بمجرد أن قال النبي لأبي بكر «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً « لم ينتظر بل بدأ فوراً وبجاهزية وإيجابية في الإعداد والتخطيط للهجرة فاشترى راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما أفضل العلف إستعداداً لهذا اليوم الذي من الممكن أن يطلبه الرسول فيه للهجرة، فكان يعلفهما من ورق السمر أربعة أشهر، وهذا النوع من العلف هو من أفضل الأنواع للإبل وبخاصة في السفر الطويل الذي هو مثل هذا السفر، وذلك كما روت وحفلت به كتب السير والتاريخ.

أما عليّ فلا يسأل النبي عن شيئ لما أمره أن ينام مكانه، لم يقل له مثلاً ولماذا أنا بالذات؟ أو هناك من هو أسنُّ مني؟ أو أخاف على نفسي أو أنا ما زلت شاباً في مقتبل العمر؟ الخ من هذه الأسئلة التي من الممكن أن يسألها أي إنسان في مثل موقف أو في عمر عليّ، لكن لم يحدث هذا منه؛؛؛ إنها الجندية الرفيعة إنها الإيجابية بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معاني، فانظر إلى حُسن التربية من القيادة الحكيمة.

دروس وعبر من الهجرة

احتوت الهجرة النبوية على دروس وعبر يجب على المسلمين أن يتدبروها ويعملوا بها حتى ينجحوا في دنياهم وأخراهم.

من هذه الدروس:

١- أن الهجرة النبوية لم تكن فرارا من الأذى، أو شكاية من التعذيب الذي واجه الرسول والصحابة، بل كانت أمراً من الله لرسوله.

٢- لم تكن الهجرة في بداية الدعوة الإسلامية بل مكثوا سنوات عديدة في مكة - ثلاث عشرة سنة - يضطهدهم المشركون ويعذبونهم، كما كان يُفعل مع بلال بن رباح، وعمار بن ياسر، وغيرهما من ضعفاء المسلمين، وإن دل هذا فإنما يدل على ثبات المسلمين على دينهم، وتضحيتهم في سبيله، كل ذلك كان بمثابة تمحيص للصف المسلم، وتربية وتدريب للمسلمين الأوائل على القيام بواجب الدعوة والدولة فيما بعد.

٣- نأخذ من الهجرة درسا هو جواز الاستعانة بالخبرات والكفاءات الماهرة ولو كانت من غير المسلمين طالما كانت هذه الخبرات والقدرات مأمونة الجانب، وتكون في المجال الذي قد برعوا فيه، ويكون عند المسلمين حيطة وحذر، حتى لا تصاب الدعوة بأذى كما قال تعالى: «لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ» (الممتحنة: ٨).

٤- في الهجرة تأكيد ثقة الرسول في نصر الله له ودفاعه عنه، اسمع لما قاله للصديق أبي بكر رضى الله عنه «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» (التوبة: ٤٠) وهذا يدل على الثقة في نصرة الله تعالى له وأنه في معيته سبحانه، وهكذا الدعاة اليوم لابد وأن يستشعروا هذه النعمة التي خصهم الله بها دون غيرهم.

٥- من الدروس المستفادة أيضا من هجرته ﷺ دور الشباب المسلم في خدمة الدعوة الإسلامية وتتمثل في دور عبد الله بن أبي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب وعامر بن فهيرة رضى الله عنهم، ومعرفة أن الشباب هم ساعد الأمة، فدور الشباب هو أهم دور في الدعوة وهم الذين تبنى عليهم الدعوات ولهذا كان دورهم أكبر وأعظم.

٦- من دروس الهجرة الدلالة التامة على أن الدعوة الإسلامية تساير الأحوال العادية للناس، وتجاري الأحداث الطبيعية للبشر، وتساير السنن والنواميس الكونية والتي ترتبط بها الأسباب والمسببات، ولا تعتمد على خوارق العادات، فقد اتخذ ﷺ جميع الاحتياطيات اللازمة وأخذ بجميع الأسباب مع حسن التوكل على الله سبحانه.

٧- أثبتت الهجرة النبوية للمسلمين عامة والدعاة خاصة، أن العقيدة هي أغلى شئ في حياة أصحابها، ولا يجوز لأصحاب الدعوات أن يتنازلوا عن أي شئ منها، مهما كلفهم ذلك من

أجلها، وهذا ما أثبتته الهجرة المباركة،وما فعله النبي وصحابته من تضحية بكل غالٍ ونفيس، فالذي يترك ماله وبلده التي تربى فيها إلى بلد ليس له فيها أهل ولا مال، ولا يعرف فيها أحد، فها هو ﷺ يقول لما خرج من مكة «والله يا مكة إنك لأحب البلاد إلى الله، وأحب البلاد إليّ ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» قال هذا القول المشهور والحزن يملأه على فراقها، لكنها تضحية الداعية الصادق ولسان حاله يقول: «موطني عقيدتي» وكذلك خرج صحابته الأطهار من مكة وتركوها رغما عنهم، لا يريدون تركها ولكن خرجوا حبا الله ولرسوله وقال الله عنهم: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (الحشر:٨) والله يقول أُخرجوا ولم يقل خرجوا، معنى ذلك أنهم خرجوا غير راضين عن الخروج ولكنهم أُخرِجوا رغماً عنهم، فهم خرجوا طاعة لله وللرسول وكل شئ يهون في سبيل الله.

٨- نتعلم من الهجرة عدم الهروب من الموقف، والثبات على المبدأ طالما أنه لا يتعارض مع الشرع، فلم يخرج ﷺ مع بداية الأذى والتعذيب الذي كان في مكة، ولكنه واجه كل هذا بصبر وثبات حتى أمره الله بالهجرة، فها هو يقول ﷺ»أوذيت في الله ولم يؤذ أحد مثلي، وأُخِفت في الله ولم يخف أحد مثلي» فالنبي أوذي وأخيف ولم يخرج في بادئ الأمر بل ثبت وواجه الكفر بكل صبر وحزم، حتى جاء أمر الله بالخروج.

٩- من الدروس الهامة للدعاة في حياتهم عموماً، التخطيط

المحكَم والإعداد الجيد والأخذ بأسباب النجاح، فهذا هو قمة التوكل على الله، فوضع الشخص المناسب في المكان المناسب وأهمية الجماعة وضرورة العمل الجماعي الموحد والمنظم والمخطط له لخدمة الإسلام، وقد ظهر ذلك في توزيع الأدوار على أصحابه ﷺ في الهجرة النبوية، فمثلا: أبو بكر يكون معه في سفره الشاق لأنه أهل للتحمل، أما السيدة أسماء رضي الله عنها فعليها إعداد الطعام وتوصيله إليهما في الغار، أما عامر بن فهيرة فيرعى الأغنام في الوادي ليمحو آثار أقدامها، لأن أهل مكة كانوا بارعين في علم تقصي الأثر، وعبد الله بن أبي بكر كان يسمع لهم أخبار أهل مكة ويذهب بها إلى الرسول وصاحبه في الغار، وهو ما يطلق عليه العمل المخابراتي الآن.. وابن أريقط دليلهما لأنه أمين وعنده علم بالطرق، وعلى بن أبي طالب ينام مكانه ﷺ حتى يُعمّي على المشركين، وهكذا مما يدل على أن هذا الدين لا يقوم إلا بالجميع والجماعة.

١٠- مما يستفاد من الهجرة: على المسلمين أن يتيقنوا أن أعداءهم لا ينامون ليلاً ولا نهاراً ولا يهدأ لهم بال حتى يقضوا على الإسلام، وقد ظهر هذا جليا في مؤتمرهم الذي عقد بدار الندوة للقضاء على محمد ﷺ وأصحابه وبهذا يكونوا قد قضَوا على الإسلام كما يعتقدوا، فإن الأعداء وبخاصة في هذا العصر الذي لا يدخرون وسعا لوأد الدعوة في مهدها، سواء بالقتل والتشريد أو الإعتقال والطرد.

الاحتياطات الأمنية من الجانبين
(النبي ﷺ – والكفار)

أولاً: الحس الأمني عند أهل الباطل لاغتياله ﷺ فبعد أن باءت قريش بالفشل في منع الصحابة رضى الله عنهم من الهجرة على الرغم من كل الأساليب من تعذيب وقتل ومطاردة وغيرها، أدركت قريش خطورة الأمر، فالصحابة قد خرجوا وساقوا الذراري والأطفال إلى المدينة، وقد وقع ما كان يخافون حيث تجسد أمامهم الخطر الحقيقي الذي يهدد كيانهم الاجتماعي والاقتصادي، حيث تكونت النواة الأولى للدولة الإسلامية الكبرى الموحدة التي ستهدم الكفر وقلعته بعد قليل، وهم يعلمون كذلك قوة تأثير الرسول فيمن حوله، ويعلمون عزيمة أصحابه واستقامتهم ومدى تربية النبي ﷺ لهم، وأنهم على استعدادهم للفداء والتضحية في سبيل ما تربوا عليه من العقيدة الإسلامية، ويعلمون كذلك ما في الأوس والخزرج (الأنصار) من قوة ومنعة، وما فيه عقلاء هاتين القبيلتين من عواطف السلم والصلح، والتداعي إلى نبذ الأحقاد فيما بينهم، بعد أن ذاقوا العذاب من مرارة الحرب الأهلية التي كانت تنشب بينهم طيلة أعوام كثيرة وعلى أتفه الأسباب من أمثال (بعاث) وغيرها.

كما كان يدرك أهل مكة ما للمدينة من الأهمية من حيث الموقع الاستراتيجي لتجارة الكفار، وهي التي كانت تمر بها في طريقها إلى

الشام ولا ريب فإنها تحتاج إلى أمن واستقرار طوال الطريق ذهابا وإيابا فهذا الموقف البالغ الحساسية والخطورة كان يتطلب من قيادات الكفر في مكة أن يحاولوا فعل أى شئ تجاهه فهذا ضياع محقق لعزتهم وكبريائهم وسيادتهم، فماذا يفعلون؟ كان عليهم أن يبحثوا عن أفضل الوسائل وأنجحها لدفع هذا الخطر، لذا اجتمع كلهم في دار الندوة للتشاور في أمر القضاء على محمد ﷺ والقتل دائماً هو سلاح الضعفاء.

وهذا ما يفعله أهل الباطل دائماً تجاه المصلحين، إذ يُخَيّل إليهم أنهم بالقضاء على صاحب الدعوة يُقضى على الدعوة تماماً، فهل تموت فكرة نمت وترعرعت في قلوب أصحابها، يقتل الواحد منهم فيقول فزت ورب الكعبة؛ على كلٍ جاءوا إلى دار الندوة للتشاور في أمرهم هذا.

وقد رافق مؤتمرهم هذا اتخاذ بعض الإجراءات الأمنية التي تبين مدى الحس الأمني عندهم وهذه الإجراءات نوجزها في نقاط هي:

أ- التّكتُّم التام على أمر الاجتماع

اجتمع الكفار بدار الندوة وتناقشوا فيما عليهم فعله مع محمد ﷺ ولما تناقشت الأراء داخل دار الندوة لم يعلم أحد من بني هاشم ولا من الكفار الموالين للنبي ﷺ كالعباس أو غيره بأي شيء مما دار في المؤتمر، وذلك لأن قيادات الكفر من قريش قد تكتمت تكتماً تاماً على هذا الاجتماع المفاجئ في دار الندوة، فلم يُعلموا أحداً ممن يَشُكُّون في أمره بأنه سيخبره ﷺ حتى لو

كان على دينهم، بأي أمر حدث داخل الاجتماع، فلم يَدْعُوا أحداً للحضور من هؤلاء وبخاصة عمه العباس بن عبدالمطلب على الرغم أنه كان على دينهم، وقد نجحوا في أمر هذا الكتمان فلم يعلم أحد، ودليل ذلك أن النبي ﷺ لم يعلم بهذا الأمر إلا عن طريق الوحي، «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» (الأنفال: ٣٠)

ب- إحكام الخطة:

لقد كانت الخطة محكمة من قِبَلِ أهل مكة المجتمعين إحكاما دقيقاً، وقد أخذوا بجميع الاحتياطات والأسباب، بحيث لم تكن فيها ثغرة يمكن ـ فيما يبدو لهم ـ أن تفسدها، وهذا الإحكام والاحتياط يؤكد أن النقاش في دار الندوة كان مستفيضاً والكل يدلو بدلوه، وهذا يعارض وهذا يعترض وهذا يناقش، وكان الأخذ والردّ على أشُده، بدليل أنهم رفضوا فكرة الحبس والقيد والإخراج وغيرها واعترضوا بشدة لأن بها ثغرات يمكن أن تفسد الخطة، ويعلم بها محمد ﷺ أو يكثر بها أصحابه وأتباعه.

فرفضوا فكرة الحبس له لأنهم وجدوا ثغرة، وهي أن أصحاب محمد يمكن أن يكثروا ثم يُطلقوا سراحه، واستبعدوا فكرة الإخراج من مكة لخوفهم من تأثيره على الآخرين، ثم اختاروا الرأي القائل بالقتل الجماعي منهم له، وإن دل هذا فإنما يدل على الإحكام الشديد والتخطيط الدقيق، حيث إن القضاء على قائد الدعوة هو من وجهة نظرهم قضاء على الدعوة نفسها، هذا إلى جانب

أن محاربة بني عبد مناف (قوم النبي وعصبته) لا يقدرون على محاربة قومهم جميعاً وبالتالي فإنهم بذلك يكونون قد تفادوا معركة وحرباً طاحنة معهم، ومن ثم تنحصر المشكلة في دفع الدية وهذا أمر يسير على المتآمرين، ومع كل هذ النقاش والمشاورة التي كانت تحدث بينهم في حين عرض الآراء والأخذ والرد، لم يعلم بهذا الأمر أحد من البشر، فكيف بعثوا إلى كل أهل مكة والذين يحق لهم الحضور بدون علم أحد؟ وكيف لم تصل الأخبار إلى العباس أو أحد الموالين للنبي ﷺ ولو كانوا كفارا من الذين يحق لهم دخول هذا المجلس؟ وأين كان الناس جميعاً في مكة بعد عقد هذا المؤتمر؟ ولم يعلم بما دار القريب من الناس أوالبعيد؟ إذاً هذا دليل على أنهم قد أخذوا جميع الاحتياطات اللازمة لهم.

ج- لمن يوكل هذا العمل؟

هذه الهمة الصعبة لابد وأن تسند إلى شباب، هؤلاء الشباب قد يكون فيهم من يحب المال فيأتي إلى أهل النبي ويساومه على الخطة المدروسة ويعطيه مقابلا، وقد يكون منهم من هو خائر القلب يخاف من الإقدام على مثل هذا الأمر، وقد يكون منهم من بينه وبين بني هاشم نسب أو غيره من صلة قرابة، وقد يكون منهم معترض على مثل هذا العمل، إذا فيا تُرى نوكل هذه المهمة لأفراداً قليلين؟ومن بطون معينة من قريش، ربما يحدث ما لا تحمد عقباه من حرب وغيره؛ إذن القليل لا ينفع في تنفيذ هذه العملية، كما أن الكثير قد لا يُأمن، وفي قريش ما يَقرب من أربعين بطناً

من الغيورين على عقيدة آبائهم وآلهتهم الباطلة، إذن فكل لا بد أن يكون في حسبانهم، ومن ثم اشترطوا لمن سيقوم بهذه المهمة شروطاً.

- هي أن يكون شاباً جلداً أي صبوراً في مواطن الشدة.
- نسيبا في قومه ومن أشراف قبيلته، فالشريف لا يخون.
- لا يفشِ سراً ولا يقصّر فيما يوكل إليه من أعمال بل يقوم بها على أكمل وجه.

ولا ريب أن أشخاصاً بمثل هذه المواصفات يجعلون نسبة النجاح في العملية شبه مؤكدة، كل هذا يدل على التخطيط المحكم للأعداء، فيا حبذا لو كان أهل الحق على هذا المنوال من الإعداد والتخطيط لنجاح دعوتهم، فقد كان المتآمرون على رسولنا ﷺ كثيرون، وزاد مَن وُكِلت إليهم المهمة أربعين شاباً من أربعين بطناً من قريش، ولم يعلم أحد بما اتفقوا عليه، لأنه إحكام لخطة ما بعده إحكام أما عن القائمين بها فإنهم أهل لها بجميع المقاييس البشرية، السرية والقوة والسمع والطاعة..

د- التوقيت المناسب لتنفيذ العملية

يعد من أبرز الإجراءات الأمنية والاحتياطات التي اتخذتها قريش لضمان تنفيذ العملية ونجاحها هو وقت التنفيذ، لقد جعلوا لها موعداً غايةً في الأهمية، هو بعد منتصف الليل بقليل ينقَضُّون عليه ليقتلوه ويستريحوا منه ومن دعوته، فموعد التنفيذ هو بُعيد منتصف الليل، وموعد تسللهم واحدا واحدا، حتى يصلوا إلى

مكان تنفيذ العملية هو قبيل منتصف الليل حتى يصلوا هناك في الموعد المحدد لهم.

لماذا هذا الوقت؟ لأن هذا التوقيت هو موعد يكون فيه جميع الناس في سكون ونوم، والناس مستغرقة في النوم لا أحد يكون في الطرق، وبهذا يصلوا ويجتمعوا جميعاً ليفعلوا ما يريدون، ولا شك أن هذا الميعاد خاصة فيه من الجانب الأمني لتنفيذ العملية ما يجعلها ناجحة بنسبة كبيرة، فلا يخفى على أحد أن الليل غطاء أمني كبير لإخفاء أفراد المهمة، وربما تنعدم الحركة، فمَن كان خارج بيته يكون قد رجع إليه، ومَن كان في بيته يكون قد نام، ولا شك أن هذا مما يجعل اكتشاف المؤامرة ضعيفاً جداً..

هـ- مكان تنفيذ العملية

ربما تنجح جميع الوسائل والإجراءات التي سبقت، ولكن أين ستنفذ العملية؟ أتكون في الطريق حتى إذا ما أخطأت ضربة من أحد أفرادها فيصرخ المضروب فيسارع الناس إلى مكان الصوت؟ وبهذا تكون فشلت الخطة بعد هذا العناء الكبير والجهد المبذول لها أمْ أن المكان يكون غير معروف لدى أفراد المهمة؟ وبهذا لا يستطيعون الوصول إلى ما يريدون، أو يُقال لهم متى تقابلونه فاضربوه في أي مكان؟ فربما لا يجدوه هنا أو هناك أو أي احتمال آخر فتفسد الخطة، أم أنهم قد أعدوا الزمان ولم يعدوا المكان الذي سيقابلونه فيه وينتظرونه عنده جميعهم؟ أم أنهم قد وضعوا أكثر من احتمال لوجوده في المكان فيفترقون على مجموعتين

أو أكثر؟ فربما يقتلون واحداً غيره والمجموعة الأخرى تقتل آخر أيضاً؟ وهكذا وتفشل الخطة أيضاً.. وغير هذا من الاحتمالات؛؛ لكن كل هذا لم يحدث، لأنهم أعدوا وأحكموا كل شئ حتى المكان، فإنهم ينتظرونه في مكان لا يتعداه، وهو البيت الذي يبيت فيه فإن خرج أو دخل فإنه لا يفلت منهم، وهذا ما أعدوه وخططوا له، ولولا عناية الله له لنجحت عمليتهم هذه ولكن لن يكون في الكون إلا ما يريد سبحانه، فهذا يسير جداً مما أعدوه من الاحتياطات والإجراءات الأمنية، حتى لا تفشل عمليتهم التي بها قد ينتصرون بقتل محمد ﷺ، لكن حسبنا أن نعرف مدي التخطيط من الأعداء، ومدى عناية الله لدعوته والسائرين فيها.

الترتيبات الوقائية من النبي ﷺ

على الرغم من كل هذه الاحتياطات والاجراءات الأمنية العالية، فالله سبحانه لا يخفي عليه شئ في السماوات والأرض، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، لهذا فقد وفق الله عز وجل رسوله لإفشال خطة قريش المحكمة، وتفويت الفرصة على المشركين أن ينالوا شراً منه، وذلك لأنه ﷺ يمثل قوة وقمة الإيمان والتقوى والورع، إلى جانب أخذه بالأسباب الممكنة له، ثم حسمت العناية الإلهية الأمر في صالح الدعوة والرسول، ولا شك لأن للإيمان أثر بالغ في تحقيق النتائج وهذا ما يجب على المسلمين أن يكون نصب أعينهم، ومع كل ما فعله كفار مكة إلّاأن الله لا يترك عباده طالما أخذوا بالأسباب مع حسن التوكل على الله، فجاء الوحي من السماء يخبره بتلك المؤامرة وهذا ما حدث.

وهذا تشريع لنا في شخص الرسول حتى نأخذ بالأسباب، فالعناية الإلهية تدخلت بعد أن أخذ النبي وأصحابه بكل الأسباب الأرضية، ولم يتركوا أي شئ من الأسباب إلا وقد أخذوا به وأعدوا له العدة، فإذا تركنا نحن المسلمون الأخذ بالأسباب، ولم نُعِد ما نستطيع من قوة ثم انتظرنا أن تتدخل عناية الله، فهذا مخالف تماماً للمنهج الإسلامي الذي يأمر بإعداد العدة، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، واستفراغ الطاقة والجهد هو السبب لتدخل العناية الإلهية وحصول النصر من الله تعالى.

فالله قد أمرنا بالإعداد وبذل الوسع فقط، والباقي كله على الله والإعداد في حد ذاته ليس نصراً وإنما هو أخذ بأسباب النصر، قال تعالى» وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم» فحتى تتدخل عناية الله لابد من الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله.

من جوانب الحذر والحماية في رحلة الهجرة

صَاحَبَ الإعداد للهجرة إلى المدينة جوانب عديدة وإجراءات مشددة من الجانب المسلم تجاه الأعداء، وقد كان هذا على أعلى مستوى من الحس الأمني والحيطة والحذر مع الأخذ بالأسباب الممكنة، وهذا شأن أصحاب الدعوات الحقة عندما يروا من أهل الباطل عناداً.

وهذه الاحتياطات الأمنية قد قام بها نبينا ﷺ وكل من كان له دور في الهجرة، وذلك للحفاظ على الدعوة وصاحبها ﷺ، فقد أَوْلَى النبي أمر الهجرة اهتماماً بالغاً، حتى باشر من أول لحظة بنفسه تنفيذ العمل الوقائي تجاه ما سيقوم به المشركين، بدقة وإحكام وتأمين غير معهود عند المشركين، وهذا ما سيظهر بوضوح في استعراضنا للجوانب التي صاحبت مراحل إعداده ﷺ للهجرة ومن أبرزها ما يلي:

١- التوقيت المناسب لتوصيل المعلومة

لما جاء الأمر للنبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، إذن فلابد أن يتخذ له صاحبا يهاجر معه ويكون رفيقا له في الطريق، وَمَن أَوْلَى الناس بهذه الصحبة المباركة؟ وكيف يخبره النبي بالخبر؟ هذه أسئلة تدور في مثل هذا الموقف أجاب النبي عنها بعمله، حتى يكون هذا تشريعا للأمة عامة من بعده، فماذا فعل؟

قام النبي ﷺ أولاً بتبليغ صديقه الوفي أبي بكر بأمر الهجرة، فاختار ﷺ وقت الظهيرة وهي ساعة لم يكن النبي قد اعتاد المجئ فيها بيت أبي بكر، يروى البخاري عن عائشة رضى الله عنها:»قالت: بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال: قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها..» وذلك لأن في هذه الساعة تقل أو تكاد تنعدم الحركة، وخاصة في شوارع مكة وجبالها شديدة الحرارة فيندر الرقيب، وبهذا يضمن النبي أن من الصعوبة على قيادات قريش وعيونهم أن ترصده، وهذا مما يجعل أمر اللقاء أقرب إلى الخفاء عن الجميع، ومن المعروف أن هذا التحرك كان بعد إخبار سيدنا جبريل للنبي بالمؤامرة عليه بقتله، وهذا يطرح احتمال أن تكون قيادة الكفر تراقب عن قرب جميع تحركات المصطفى ﷺ حتى لا يخرج وهم يشعرون به، ولهذا فلابد من أن يُفَوّت النبي الفرصة على عيون قريش التي تراقبه، فجاء في هذا الوقت الذي لم يعتد الحضور فيه لبيت أبي بكر، إذ كان معروفاً أنه ﷺ كان يأتي بيت أبي بكر في طرفي النهار، فإذا افترضنا أن هناك من يراقب منزل أبي بكر، فإنه غالباً ما يكون في هذين الوقتين دون سواهما (أي طرفي النهار).

٢- ومن الحس الأمني إخفاء شخصيته ﷺ

لما أراد ﷺ أن يذهب إلى بيت أبي بكر متلثماً مقنعا بغطاء لرأسه ووجهه، وذلك لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على وجه الشخص المتلثم، وبالتالي فلا يُعْرَف غالباً لدى الأعداء وهذا

ما فعله ﷺ حتى يخفي شخصيته عن زعماء قريش فمن الأهمية بمكان على الشخص الذي يريد تنفيذ مهمة ما، أن يتستر ويخفي شخصيته حتى لا يثير الريبة والشك لدى الأعداء، وبخاصة إذا كان الصراع محتدماً بينه وبين أعدائه، لأنه فور ما يعلم الأعداء بتحركات الخصم، فإنهم سيراقبونه ويتابعونه حتى يتبين لهم ماذا ينوي الخصم فعله.

٣- الإحتياط التام قبل الإدلاء بأي معلومة

ذكر كتاب التاريخ والسير أن النبي ﷺ ذهب في الهاجرة ـ حين يستريح الناس في بيوتهم ـ إلى أبي بكر رضي الله عنه ليبرم معه مراحل الهجرة، قالت عائشة رضي الله عنها: بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ، فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر وقبل أن يتكلم بكلمة السلام عليكم : [أخرج عني مَنْ عندك]. فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: [فإني قد أذن لى في الخروج]، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله، قال ﷺ: [نعم]. ثم أبرم معه خطة الهجرة، ورجع إلى بيته ينتظر مجيء الليل، وقد استمر في أعماله اليومية حسب المعتاد حتى لا يشعر أحد بأنه يستعد للهجرة، أو لأي أمر آخر اتقاء مما قررته قريش، ومن الحسّ الأمني عنده ﷺ أنه

كان أو ماتكلم به أن قال أخرج عني مَن عندك، على الرغم من أنهم أهله، كما أنهم أولاد أوفى وأعز صاحب له وهو أبو بكر، لكنه ﷺ لا يريد أن يترك ثغرة ولو صغيرة تفسد عليه خطته، وأيضاً يشَرع لنا سنة الأخذ بالأسباب في كل شئ.

كذلك لم يقل ﷺ لأبي بكر المكان الذي أُمر بالهجرة إليه لكنه قال له قد أُذن لي بالهجرة فقط، ولم يُحدد له أين؟ ولا متى؟ ولا كيف؟ في هذا الوقت حتى لا يسمع مَن في بيت أبي بكر، ثم أخذ يُدبر معه أمر الهجرة، أيضاً أخذ ﷺ يُباشر أعماله اليومية حسب ما هو معتادٌ عليه، وهذا يدل على بلوغ القمة في الأخذ بأسباب الحيطة والحذر.

٤- التمويه والتعمية (مبيت عليّ مكان النبي)

قال ابن هشام «وقال النبي لعلي رضى الله عنه «يا على نم على فراشي وتسجَّى ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فتنام فيه فإنه لن يُخلص إليك شئ تكرهه منهم، ولك الجنة « وكان النبي نام في برده ذلك إذا نام، فأيّ حكمة هذه وأي حسٍّ أمنيٍّ عنده ﷺ، لقد كان توجيهه لعليٍّ أن ينام مكانه في فراشه وتسجيته ببردته تصرفاً في غاية الحكمة وغاية في الحذر، فهذا التمويه وهذا التصرف السليم تقتضيه الظروف وملابسات الموقف، فهاهم المشركين واقفين أمام الباب ينتظرون خروجه ﷺ حتى الصباح وكان قد خرج من بين أيديهم ووصل إلى المكان الذي يُريد الوصول إليه – الغار– قبل أن يعرفوا هل النبي موجود أم لا؟ لأنهم كلما نظروا من

ثقب الباب وجدوا واحداً نائم مكان النبي وهم متيقنون أن النائم هو النبي ﷺ،حتى بعد قدوم أحد المشركين عليهم وقوله لهم: خيبكم الله ما تنتظرون هنا إن محمدا قد خرج من بين أيديكم، ولم يترك أحداً منكم إلّا وقد وضع على رأسه التراب، فنظروا فإذا النائم مكان النبي ما زال نائماً، لذلك هم لا يصدقون ما يقال لهم، وهذا من حيطة النبي وأخذه بأسباب النجاة.

٥- ومن الحس الأمني: اختيار الدليل الماهر

كان من مستلزمات الإعداد للهجرة الخبرة الكافية بالطريق، من حيث القِصَر، والبعد عن المسالك المعروفة والمألوفة لدى الأعداء، وهذا مما لابد منه لهذه المهمة حتى يكون الركب بعيداً عن العيون، ولأهمية الحذر هنا استأجر النبي ﷺ دليلاً ماهراً عالماً بآمن الطرق وأقصرها بين مكة والمدينة، وهو عبد الله بن أريقط الديلمي، وكان على دين قريش وذلك حتى لا يضل الطريق، وحتى لا يسلك طريقاً معروفاً عند الأعداء مما يجعلهما عرضة لمطاردات قريش ومن ثم الإمساك بهم، ولنا وقفة مع عبدالله بن أريقط المشرك الذي قاد الركب الميمون إلى المدينة، فمن التشريع المحمدي لنا بين أن العبرة هنا بالتعاون مع المشركين، وتسخيرهم للدعوة يكون محدوداً بمقدار ما إذا أُمِن جانبهم، وعلى وفق مستوى عدائهم للإسلام، وعليه فيجوز للمسلم التعاون مع غير المسلم بضوابط وحدود يحددها الشرع ويعرفها العلماء وهم الذين يُسألون عنها، ويفتون فيها حسب ما تقتضيه المصلحة وتوافق ذلك مع الشرع،

فإن المنطق الظاهري يقتضى عدم اختيار النبي ﷺ عبدالله بن أريقط دليلاً لأخطر حدث في تاريخ الدعوة، وذلك لأنه مشرك، لكننه فيم بدا للنبي لن يبوح هذا الرجل بهذا السر، لذلك جعله النبي دليلاً له وأسند إليه هذه المهمة الصعبة، وهذا ما حدث فعلاً فلم يخبر قريش بالأمر فعلاً، وقد صدقت فيه فراسة النبي فها هو لم يقع في جانب الإغراء المادي الضخم الذي قدمته قريش لمن يدل على محمد، ولا حتى خان الأمانة الموكلة إليه، وإن دل هذا فإنما يدل على أمرين هامين هما:

١- معرفة النبي لمعادن الناس وطبعائهم وأنسابهم فمن الناس من لا يطغى عليه المال حتى ينسيه مروءته وشهامته، كهذا الرجل.

٢- يدل على نقاء معدن ابن أريقط وصفاء نفسه وعلى كرامته، التي جعلته لا يخون قوما أَمِنوا جانبه، فلم تعلم قريش منه أيّ شيئ.

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (الأحزاب: ٢١)

٦- كتمان النبي خبر الهجرة عن كل إنسان

يكون من الضرورة بمكان لإنجاح أي مهمة وخاصة الهجرة التي غيرت مجرى التاريخ، أن يكون خبرها غير معروف، وأن يكون طَيّ الكتمان، لأن ذيوع خبرها يؤدي إلى اكتشافها وبالتالي فشلها، وكل ما كان الأمر محصوراً في عدد قليل جداً، كلما كانت فرصة تسريبه ضئيلة ونادرة، لهذا وجدناه ﷺ كتم أمر الهجرة حتى عن المقربين إليه من أصحابه الذين لم يكن لهم دور في موضوع

الهجرة، ولم يعلم بأمر الهجرة إلا قلة قليلة من الصحابة الموكلة لهم أعمال ولهم دور فيها، قال: ابن إسحاق «ولم يعلم أحد فيما بلغني بخروج النبي حيث خرج إلا عليّ وأبو بكر وبعض أبنائه» ومن الملاحظ المعروف أن الذين عرفوا أمرها كان لهم أدوار معينة يقومون بها، ولولا ذلك لما أخبرهم النبي بأمر الهجرة.

هذا جانب من جوانب الحيطة والحذر عند النبي ﷺ نستفيد منه في حاضرنا ومستقبلنا، وهو من أهم فوائد قراءة السيرة والتاريخ الإسلامي.

جوانب الحذر والحماية عند أبي بكر

إذا ما ذهبنا إلى أبي بكر وهو الذي تربى على يد النبي ﷺ هذه التربية الصحيحة بما فيها الجانب الأمني لنجاح الدعوة ونجاة أفرادها.

نجد انه قام بدور بارز وكبير في الهجرة وشارك ﷺ في الإعداد لها، وقد صاحب هذا الإعداد عدة جوانب في الحيطة والحذر والحماية، ومن أبرز هذه الجوانب ما يلي:

أولاً تهيئة وسيلة الهجرة

لا شك أن رحلة طويلة كرحلة الهجرة من مكة إلى المدينة إنما تحتاج إلى وسيلة مُعَدّة من قبل، ومهيأة لهذا السفر البعيد، وهذه الوسيلة لابد أن تناسب طبيعة المناخ الذي تعيش فيه، وهذا ما فعله أبو بكر رضى الله عنه، إذ لما علم إنه سيهاجر بعد فترة لا يعلم متى وقتها، حبس نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته، ثم علف راحلتين كانتا عنده وجعل أكلهما ورق السمر عنده أربعة أشهر[1]، وذلك لأن الإبل تعد من أنسب الوسائل للسفر في الصحراء القاحلة في هذا العصر، فهي حيوان صحراوي عنده القدرة الفائقة على تحمل طبيعة الصحراء القاسية بما أعطاها الله من قوة تحمل، وهذه طاقة أودعها الله في هذا الحيوان، فهو يصبر

(١) السيرة النبوية للصلابي ج١ص٤٥٠ وبعدها.

أياما لا يأكل ولا يشرب وهذا ضروري جداً لمثل هذه الرحلة الطويلة والشاقّة، إذ هي تمُرّ عبر طرق غالبا ما يندر فيها الماء، كما أن السير في رمال الصحراء لا يناسبها إلّا خف البعير فهي مسطحة لا تغوص في الرمال كما أنها سريعة جداً في الرمال، فالمسافة كبيرة قرابة خمسمائة كيلو متر، والرحلة الطويلة إنما تحتاج بلا شك إلى نوع من الإبل يمتاز بالقوة والسرعة، ولذلك فإن أبا بكر كان يعلفها علفا خاصاً من نوع خاص، هو ورق السمر ولمدة أربعة أشهر، وهو غذاء ممتاز للإبل يمدها بالطاقة الكافية لتحمل السفر لمسافات بعيدة وطويلة، دون أن يصيبها الجهد والتعب غالباً[1].

إذن فقد أعد أبو بكر للأمر عدته، واتخذ للسفر أهبته، وهذا قمة الأخذ بالأسباب والتفكير والتدبير المناسب لكل حالة تتطلبها أي مهمة، حتى لا تفشل مهمتهم فيعدون لكل أمر ما يناسبه من التخطيط سواء أكان ذلك مما يتصل بالزمان أو المكان أو كليهما، وهذا ما ذَكّرنا بفعله أبو بكر[2].

ثانياً: التموين أثناء الرحلة

هذه الرحلة الطويلة الشاقة لابد لها من تأمين الزاد من طعام وشراب، ولأن الوقت شديد الحرارة ويحتاج إلى شراب كثير، وذلك أثناء الاختباء في الغار وأثناء الرحلة إلى المدينة كذلك وتلك

(١) من كتاب السرة النبيوة - جوانب الحذر والحماية - التربية الجهادية في السيرة النبوية ج٢.

(٢) السيرة النبوية قراءة الجوانب الحذر والحماية إبراهيم على سمر بتصرف ص ١٤٥.

مهمة كبيرة، لكن ابا بكر وأهل بيته رضى الله عن الجميع كانوا على مستوى الحدث، إذ تقول السيدة عائشة رضى الله عنها « فجهزناهما أحث . أسرع . الجهاز ووضعنا لهما في سفرة وجراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر من نطاقها فربطت به الجراب وكانت أسماء تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما» ولا يخفي على أحد إغفال هذا الجانب المهم بالنسبة للهجرة، وهو تأمين الزاد فعدم تأمينه يدعو إلى الجوع والعطش الأمر الذي يفضي إلى الهلاك، كما أن الرحلة تحتاج إلى قوة تحمل وهذا ما لا يتحقق مع الجوع، فالأكل والشرب يقويان صاحبهما على مواصلة السير، كما أن تأمين الزاد يجعلهم لا يلتمسونه أثناء الطريق، الأمر الذي بالطبع سيؤخر سيرهم أو يعرضهم لخطر اكتشاف أمرهم، فكان الواجب عليهم أن يتفادوا هذه الاحتمالات التي تؤدي إلى الفشل، لذا قام أبو بكر بتأمين زادهم لرحلتهم الشاقة ومن يثقون فيهم، وَمَن الذين يثق فيهم أبو بكر من غير أسرته المقربين له وهم أهل بيته فقد سخرهم أبو بكر لأمر الهجرة، فلا شك أن رحلة كهذه تحتاج لأعوان كثيرين وعيون مأمونة الجانب حتى تتم بصورة محكمة دقيقة، وهذا الأمر يتطلب التأني والحيطة في اختيار أمثال هؤلاء من أسرته فأي إخفاق في اختيارهم يعتبر بالتالي أخفاقاً في الأمر كله، وبالنسبة للخبرة التامة من أبي بكر لأهل بيته، فإنه قد وقع اختياره رضى الله عنه على أفراد أسرته للقيام بهذه الأدوار الثقيلة والمتنوعة فكل منهم له مهمة غير الآخر، فمثلا إعداد الطعام كان على عائشة، وتوصيله للغار على أسماء، أما إخفاء

الأثر فعامر بن فهيرة، وتَسمّع الأخبار من العدو ونقلها إلى النبي ﷺ وصاحبه أولاً بأول لعبد الرحمن بن أبي بكر، فقد باتت أسرة أبي بكر كلها تعمل في غير كللٍ أو ملل من أجل إنجاح الخطة المرسومة للهجرة، ولقد قام كل واحد بالدور المنوط به خير قيام، فرضى الله عنهم جميعاً[1].

(١) المنهج الحركي ، السيرة النبوية الحذر والحماية بتصرف ص ١٤٧ ، السيرة النبوية للصلابي وقد استفدت منها كثيرا في هذا الجانب.

مع ركب الهجرة من الدار حتى الغار

كانت بداية الهجرة من بيت الصاحب والصديق أبي بكر رضى عنه، ومن ثم فإن النبي ﷺ كان قد أعد للأمر عدته، فكان عليه بعد الخروج من البيت أن يتوجه إلى مكان مناسب هو الغار، ومن البداية يظهر لمن يتتبع وقائع الهجرة سواء الاحتياطي الأمني، اوالتخطيط الدقيق والتنفيذ المحكم المتقن، مما يجعل هذه الرحلة تنطوي على جوانب ودروس دعوية وأمنية كانت عند النبي الذي يخاف على دعوته، لا على نفسه.

أولاً: يُستفاد من توقيت الخروج ومكانه

غادر ﷺ بيته في ليلة سبع وعشرين من شهر صفر، كما ذكر ابن هشام والمباركفوري، وهي الليلة التي انتظره المشركون ليقضوا عليه بالفتيان الذين رصدوهم أمام بابه، ثم خرج من بينهم وألقى على رؤوسهم التراب فقد خرج ليلا من داره، أما عن دار أبي بكر فلم يمكث عنده حتى الصباح، بل غادرها أيضاً بسرعة، فمن أين خرج النبي وصاحبه؟ خرج الصاحبان من خوخة (شباك صغير) لأبي بكر في ظهر بيته وهي مكان للخروج من الخلف، ثم خرج من مكة على عَجَل وقبل أن يطلع الفجر، وهذا ما يشير للتخطيط الدقيق واختيار الوقت المناسب فكان ليلاً، والمكان المناسب فكان الباب الخلفي للبيت، فالليل كما هو معلوم ستار

آمن يمكن التحرك فيه بكثير من الاطمئنان، مما يقلل من احتمال الرؤية لهما، مع العلم بأن دار أبي بكر لم تتركز عليها عيون قريش فجميع قيادات قريش وعيونها ترصُد بيت النبي ﷺ، وفي هذا الوقت بالذات كما هو معلوم لدى الجميع أن الفتيان الذين يريدون قتل النبي كانوا مجتمعين حول بيته معتقدين أنه بداخله، فكل تفكيرهم وتدبيرهم كان مركّزا على هذا المكان دون سواه، مما سهّل مهمة الخروج لركب الهجرة في مثل هذا الوقت دون أن تعترضه عيون قريش التي باتت ترقب عليّاً ظنا منهم أنه النبي، وكون هذا التحرك تم قبل الفجر ربما كان على تقدير أن قريشا لن تكتشف حقيقة الأمر إلا بعد طلوع الفجر، وبعد قيام عليٍّ من مكانه الذي نام فيه وهذا ما حدث فعلا، فقد أخبر ابن إسحاق أنه قال (فلم يبرح المشركين حتى أصبحوا) فقام عليّ رضى الله عنه من الفراش ورآه الكفار، وبالتالي فإن الفرصة تكون قد فاتت على قريش، وأن يكون النبي وصاحبه قد وصلا إلى الغار بسلام، ودون أن يَعرف أحد مكانهما الذي لجئوا إليه، فيفسد الخطة عليهم ويصل إليهم الكفار.[1]

أما عن خروجهم من بيت أبي بكر في نفس الليلة ومن الباب الخلفي غير المعروف فهو من باب الاحتياط الأمني، إذ هناك احتمال ولو قليلا أن يراقب بيت أبي بكر، نعم المراقبة لن تكون كبيت النبي وبخاصة في هذا الوقت من الليل، لكن أبا بكر أيضا

(١) انظر السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية صـ ١٤٨ ، السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص٣٨٤ الرحيق المختوم ص ١٩٤.

معروف أنه هو الذي سيهاجر معه وقد أخبره النبي قبلها في وقت الظهيرة، ومن الممكن أن يأتي المشركون ليستفسروا عنهما، فكان البيت بيت أبي بكر والليلة نفس الليلة.

وأما عن خروجهم من الباب الخلفي: فهو أيضا دليل قاطع على حكمته ﷺ ودقته في التخطيط، فمن الاحتياط الأمني ألا نترك الثغرة التي يتطرق إليها احتمال أن يراقب بيت أبي بكر من الكفار أحد لما بينهما من العلاقات الحميمة . بين أبي بكر والنبي . والصلات الوثيقة والروابط التي يعرفها عنهما المشركون، فإذا افترضنا أن هناك عيونا تراقب البيت الذي سيخرجان منه سواء من مكان قريب أو بيت مجاور لبيت أبي بكر فإنها تكون لباب البيت الأمامي المعروف لدى الجميع، فهو الذي يُرصد من خلاله الداخلون والخارجون، ولهذا لما اراد النبي الخروج خرج من مخرج سِرّيّ غير معروف بعيد عن المراقبة، وإن دل هذا فإنما يدل على عبقريته ﷺ وحسن تدبيره وتشريعه لأمته من بعده[1].

ثانياً الخروج من بيت أبي بكر إلى الغار

ذكر ابن الجوزي في الوفا، والسيوطي، وابن هشام في السيرة «أن النبي ﷺ لما أراد الخروج من دار أبي بكر خرجا من الباب الخلفي للبيت، وخرجا سيراً على الأقدام، وأنه مشى طوال الليلة على قدميه وأطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجليه على الأرض حتى

(١) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المبارك كفوري صـ ١٩٤ جوانب الحذر والحماية في السيرة النبوية صـ ١٥٢ وما بعدها باختصار وتصرف.

حفيت قدماه ﷺ، فإنه لم يصل الغار حتى تقطرت قدماه دما، حتى كان أبو بكر يحمله أحياناً لما رآى قدماه الشريفتان تقطران دماً، وجعل يشتد به حتى أتى به الغار فأنزله» ولا يخفي على أحد ما في هذا العمل من الاعتبارات الأمنية الظاهرة، فسيرهما على الأقدام مع وجود الركائب حتى لا يُرى أثرهم، كما أن جاهزية الجملين ووضعها أمام بيت أبي بكر صباح الليلة حتى الصباح للتعمية والتمويه لمن يراقبونهم، فإذا ما نظر المراقبون للبيت يروا الركائب فتهدأ ثائرتهم، وفي هذا دلالات واضحة على الحس الأمني عند النبي.

ثالثاً: التمويه في خروجهما من الغار واختيار الغار

يقع الطريق المعتاد المؤدي إلى المدينة شمال مكة المكرمة لكن النبي ﷺ أخذ طريقا مخالفا لهذا الطريق، يقول المباركفوري في الرحيق المختوم «ولما كان النبي يعلم أن قريشاً ستَجِدّ في طلبه ولن تتركه يمشى بسلام في طريق الهجرة، وأن الطريق المألوف المعروف إلى المدينة وهو المتجه شمالا فما كان منه إلا أن سلك الطريق الذي يضاد هذا الطريق تماما، فسار في الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن، سلكه حتى بلغ جبلاً يعرف بجبل ثور حتى وصل وصاحبه إلى غار ثور، وهو عبارة عن كهف بأعلى جبل ثور وهو جبل عالٍ له قمتين على بعد حوالي خمسة أميال جنوب مكة في الطريق المنحدر إلى اليمن، يمشى السائر إليه وقتاً طويلاً في طريق لين كثيف الرمال، ثم يصعد فيه صعوداً هينا حتى يصل

قمته القريبة، فإذا وصل إليها يمشى قليلا في طريق ممهد قليلا كأنه برزخ، ثم يأخذ في الصعود إلى القمة الأخرى في مرقىً وعر شديد الوعورة شديد الانزلاق، كثير المضايق والصخور فلا يزال يبذل الساعي إليه من جهده الشديد ووقته وقوّته حتى يصل، ولابد للسائر من خبرة كبيرة ومهارة في السير، ثم يصل إلى الغار عند القمة الأخرى، مع أن الطريق المؤدية إليه كلها حصى صغيرة وحجارة محدبة وكأنها شوك، وهذا ما سبب المتاعب للنبي ﷺ حتى إذا وصل إليه كانت قدماه الشريفتين تقطران دما، فكان أبو بكر يبكي لما يراه في النبي حتى وصلا إلى الغار فوجداه كهفا ضيقا لا تزيد مساحته على مترين ونصف المتر، وهو تحت صخرة ضخمة كبيرة، ومكان دخوله بظلمة خفيفة نهاراً، ولهذا الغار فتحتان فتحة ضيقة في جانب منه، وأخرى في جانب آخر ضيقة جداً، وهي التي يستطيع الداخل منها أن يدخل[1].

هذا المكان تتوافر فيه صفات لا تتوافر في غيره، فالحس الأمني عند النبي والمهارة العسكرية جعله يتخذه مختبأً دون غيره فهو:

أولاً: إلى اليمن وليس إلى المدينة.

ثانياً: في جبلٍ عالٍ ذا قمتين عاليتين.

وهذا المخبأ في قمة منه، ولن تصل إليه حتى تصعد قمة أخرى مما يجعله ليس كل من يريده يصل إليه، لهذا اختار النبي ﷺ هذا المكان دون غيره، وحتى نعرف أن الهجرة إنما كانت كلها متاعب

(١) انظر صورة من حياة الرسول في مكة صـ ٢٤٠ وما بعدها والسيرة النبوية لابن هشام صـ٣٠٢ جـ١.

وصعوبات، وقد اختار النبي هذه المتاعب للحفاظ على الدعوة وحتى يعلم المسلمين أن الإسلام لم يأتي لنا بيُسر، فهذا هو النبي وهو أحب الخلق إلى الله، فعل ما فعل حتى وصل إلى ما يريد وهو لا يفتر عن الأخذ بالأسباب.

رابعا: الاحتياطات الأمنية أثناء الإقامة بالغار

تخللت إقامة النبي ﷺ وصاحبه بالغار بعض من الاحتياطات الأمنية ومن أهمها:

١- تدخل العناية الإلهية بعد انقطاع الأسباب الأرضية:

فعلى الرغم من هذه الجهود المضنية الشاقة في الأخذ بالأسباب للاحتياط الأمني والاختفاء عن العيون التي ترصده من قريش والسرّية في السير، إلا أن قيادات قريش استطاعت أن تصل إلى مكان الغار، وذلك عن طريق تتبع الأثر، حتى كانت قريش قاب قوسين أو أدني من بغيتها، وهنا تدخلت العناية الإلهية لصالح الرسول وصاحبه رغم أنه كان مع المشركين رجل ماهر بمعرفة الأثر فاقتفى الأثر حتى وصل إلى الغار وقال: هذه قدم أبو بكر وهذه قدم محمد «ووالله لقد انقطع الأثر إلى باب الغار وما أظن أنهما برحا هذا المكان إلا أن يكونا صعدا إلى السماء أو نزلا في الأرض» هذا الرجل يقال له علقمة بن مكرز بن هلال الخزاعي كما روى ذلك البلازري في التاريخ، ولكن عناية الله تدخلت.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

فقد أعمي الله أبصارهم عن أن يصلوا إليه، وذلك لتدخل عناية

الله بعد استفراغ الجهد والأخذ بالأسباب، ونجا النبي وصاحبه بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدني منهما، ورجع المشركون وهم يجرون أذيال الخيبة والعار، بعد أن ردتهم عناية الله عن صفيه ومصطفاه ﷺ، وفي هذا درس للمسلمين أنه حين يبلغ الجهد البشرى مداه، وحين تستنفد الطاقة البشرية كل ما لديها، وحين تنقطع الأسباب الأرضية ويعلم الإنسان أنه لا مفر من الله إلا إليه، ولم يعد أمامه أي باب يطرقه غير باب الله تعالى، فإن الله تعالى سيكون معه.

٢- مما احتاط به النبي أثناء إقامته بالغاررصد تحركات الأعداء وهو في مكانه.

من الأمور المسلّم بها عسكريا أنه كلما كانت القيادة أعلم بواقع وتخطيط العدو وأدرى بأسراره، ولها في صفوفه من يستطيع أن ينقل لها الأخبار والمخططات، فإنها تُعِد العُدّة لمواجهته تبعا لهذه الأخبار التي لديها، وهذا يكون أنجح وأحرى في اتخاذ الأساليب الناجحة ضد الأعداء، فاختار النبي ﷺ عبدالله بن أبي بكر فهو ثَقِف ـ أي مثقف ـ حاذق فَطِن لَقِن سريع الفهم، وهذه سمات مطلوبة في مثل هذا الموطن، وفي الشخص الذي سيقوم بمثل هذه المهمة الصعبة، فالذكاء يساعده على حسن التصرف حيال المواقف الحرجة، والتي قد تصادفه أثناء القيام بمهمته، وسرعة فهمه تساعده في استخدام الوسائل المثلَى في الحصول على المعلومة دون زيادة أو نقص، مما يجعل المعلومة التي يعرفها عما يدبره المشركون تمتاز بقدر كبير من الصحة والثقة، وفطنته وثقافته تجعلانه يحافظ على نفسه فلا يصاب بأذى من المشركين، وإن لم يكن كذلك

فإنه سيكون عُرضةً لأن يُعرف للأعداءومن ثمّ فإما أن يُعرف هو عند الأعداء وبالتالي سيمسكون به في مكة فيقتلوه، إن لم يصلوا منه إلى ما يريدون، أو أن يُعرف من خلاله القيادة المسلمة لأنهم سيتتبعونه خفية ويكون سبباً في فشل الخطة بدلاً من أن يكون سبباً في نجاحها، وإن عرفوه وأمسكوه حتى وإن لم يقتلوه فإنه سيكون في عرضة لأن يعذبوه حتى يدل على النبي ﷺ وصاحبه الموجودان في الغار، أو أن يعتقلوه ولو لم يتعرضوا له بأذى أو يقتلوه، وبهذا يكون قد خسروا معرفتهم بأخبار أهل مكة وما يدور فيها، وليس هذا هو المطلوب.

٣- ذهاب عبدالله بن أبي بكر بالليل سراً إلى النبي ﷺ في الغار فلا يعرفه أحد من المشركين، ثم عودته عند السحر إلى مكة، يُبعده عن خطر مراقبة قريش له، لأن الظلام كما هو معلوم ساتر مناسب لمن يقوم بهذه المهمة الحساسة، التي بها يعرف الأعداء مكان النبي وصاحبه فدخول مكة سحرا يبعده عن شبهة الاتصال بالنبي ﷺ فهو يصبح وكأنه كان نائما في مكة، وهذه غاية الدّقة وقمة الحيطة والحذر وحسن التخطيط والحكمة في التنفيذ، كما أن المعلومات التي كان يأتيهم بها تجعل الرسول وصاحبه على دراية تامة بما تفعله قريش في مكة، وهو ذو قدرة عالية على فهم ما يدور حوله إذا كان بمكة، وصحة الأخبار التي ينقلها لهما في الغار، كل هذا يجعله ﷺ وصاحبه يتحركان بناء على حقائق لا على الظن والتخمين مما يجعل النجاح مؤكد لديهم بناءً على هذه الحقائق.

خامساً المستفاد من إعفاء الأثر

بقائه ﷺ بالغار يحتاج إلى استطلاع دائم للأخبار، وهذا الاستطلاع كما قلنا يحتاج إلى شاب ذا صفات مهاريه عالية كما مرّ علينا آنفاً، وهذا الأمر يتطلب أن لا يُعرف هذا الشخص ولا أثره للأعداء، حتى لا يتتبعون الأثر والنبي يعرف أن الأعداء بارعون في اقتفاء الأثر، إذن فلابد من أن يحتاط ﷺ لهذا الأمر فعبد الله بن أبي بكر لابد له أن يذهب ويجئ نهاراً بلا شُبهة، ثم أسماء بنت ابي بكر تذهب نهاراً تحمل إليهما الطعام والشراب، وحتى يستبعد احتمال أن يعرف أثرهما وهما يذهبان إلى الغار كان هناك من هو مكلف بتتبع الأثر بالأغنام لكي يعفى ويمحي هذه الآثار، وهو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ثم إن إزالة الأثر عن طريق الغنم تُعد أنسب وسيلة، لأن آثار الغنم في تلك البقاع، أمر مألوف لدى قريش، فلا يثير شكا ولا ريبة عندها إذا رأوا عامر بن فهيرة، يغدو ويروح بها حتى الغار فلا يشكُّون في أمره.

سادساً: الإمداد بالتموين والإقامة ثلاثة ايام

من المسلّمات أن الجوع والعطش قد يسببان انهياراً للإنسان، وخاصة بعد هذا التعب، كما أن الركب المبارك في الغار سيمكث مدةً بالغار فلابد له أن يأكل ويشرب، فالأكل والشراب عماد الحياة والطعام والشراب يحتاج إلى أدوات طهي وغيره وليس لهما القدرة على ذلك، إذن فلابد أن يحتاجا إلى زادٍ مُعدٍ وجاهزٍ، لأنّ أي محاولة لإشعال نار أو غيره مما لابد منه لإعداد الطعام، تعتبر

قرينة قوية ربما تقود قريش إلى الغار، كما أنهما لو خرجا ليحتطبا فقد يراهما أحد على هذه الحالة فيعرف المكان، والنار ينبعث منها دخان نهاراً ويخرج منها الضوء ليلا، وهذا يشكل خطراً كبيراً وبخاصة أن العرب يمتازون بقوة الملاحظة، لذلك فمن الأفضل ما كانت تفعله السيدة أسماء أنها كانت تأتيهما بالطعام معداً جاهزاً من بيت أبي بكر، كما أن عامر بن فهيرة كان يجلب لهما اللبن من الغنم فيشربان ويأكلان بدون أن يشعر بهم أحدٌ أبداً.

لماذا أقاموا ثلاثة أيام في الغار؟

فيقول: ابن الأثير في تاريخه «فأقاما في الغار ثلاثة أيام» وهذا تصرف أمني له وزنه وقد اقتضته الظروف المحيطة بهم في الغار، فالخروج من الغار في الأيام الأُولى يجعلهما عرضة للوقوع في قبضة الأعداء، كما أن المدة الزمنية هذه ربما كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعلومات التي قدمها لهما عبدالله بن أبي بكر والتي تشير إلى خفة الطلب لهما بعد هذه المدة التي بلغت ثلاثة أيام، فقد يكون الأعداء من قريش قد كَلّوا وتعبوا مدة ثلاثة أيام، فهي مدة كافية أن يستريحوا حتى يعرفوا أين ذهب هو وصاحبه؟ كما أن الأخطر من ذلك فإنه قد يلفت ويوجه الأنظار من قِبَل قريش وقيادتها، فلو زادت عن ثلاثة أيام في الغار فالمرور والذهاب والإياب من الغار وإليه كثير من عبدالله بن أبي بكر وأسماء وعامر بن فهيرة فقد تتبعهم قريش حتى تصل إلى ما تريد، أضف إلى ذلك أن هذه تعد كافية لأن تدرك قريش وقيادات الكفر أن محمداً قد أفلت منهم فيكُفّوا عن الطلب، ويدور في ذهن أهل مكة أنهم ابتعدوا بمسافة بعيدة تمكنه من الوصول إلى أي مكان آمن أو الإلتحاق بقبيلة لها مكانتها فتحميه ولو قليلا، مما يجعل اليأس يدب في نفوس الكفار فيتراخوا عن مطاردته، وبالتالي تكون الفرصة سانحة للركب المبارك أن يفلت منهم، وهذه خطط محكمة تدل على الخبرة الكبيرة بالواقع عنده ﷺ، فلم تكن قريش

تظن قط أن محمدا سيفلت من يدها، وأنها ستخفق في العثور عليه بعد ما بذلت كل جهد ممكن في البحث عنه، فقد أمضى الكفار الأيام الثلاثة الأُول من اختفائه ﷺ وهي جادّة كلّ الجد في البحث عنه قد أسهرت ليلها وأشْقَت نهارها، ودست عيونها في كل مكان تشتَمّ أي شئ لعلها تعثر عليه، وأرسلت خبراءها في كل مكان وناحية يتلمّسون آثاره ويتحسّسون أخباره.. ولكنها على الرغم من ذلك لم تظفر من جهودها بطائل، فلما انقضت الأيام الثلاثة وهي على هذه الحالة من الثورة والاضطراب بدأ يدُب عندها اليأس والإخفاق في الطلب ومن الجهد الدائب الذي خاب وفشل، وأخيراً استولى عليها اليأس وقلت عزيمتها، فما كان منها إلا أن كفت عن البحث وأيقنت أنه من المستحيل أن يكون محمد وصاحبه بقيا في مكة أو قريب منها حتى الآن، وهذا ما قدره النبي وخطط له وبنى عليه التنفيذ فقد ظل رابضا في الغار يراقب الحوادث عن قرب حتى تبين له عن طريق عبد الله بن أبي بكر أن قريشا قد يئست من وجوده بمكة، وأيقن ﷺ أنه قد هدأت العاصفة وسكنت الثورة ولاحت الفرصة للخروج من الغار، أخذ في تنفيذ باقي الخطة، فجاءه الدليل في الموعد المحدد له مسبقاً، وأخذ الجميع أهبتهم لرحلة طويلة شاقة محفوفة بالمخاطر والمصاعب فاسرعوا يجدّون في سيرهم إلى المدينة.

مع الصاحبان من الغار إلى المدينة

بعد أن خمدت نار الطلب، وهدأت ثائرة قريش بعد استمرار الطلب والمطاردة الشديدة، أخذ النبي وصاحبه في التهيؤ للخروج من الغار إلى المدينة حتى لا يُدرك قبل الوصول، ولقد صاحب هذا التحرك من جهة الركب المبارك عديد من الجوانب الأمنية التي تُظهر مدى الاهتمام البالغ والحذر الذي أتبعه الرسول منذ تحركه من الغار حتى وصوله إلى المدينة المنورة.

أولاً: الحذر أثناء السير

سلك بهم دليلهم عبدالله بن أريقط بعد الخروج من الغار أول سيره في اتجاه الجنوب نحو اليمن ثم غربا نحو ساحل البحر الأحمر، حتى يأخذوا طريقهم غير المعروف لقريش، ثم اتجه شمالا بهم على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، ثم سلك طريقا لم يكن يسلكه أحد إلّا نادرا، وما ذلك إلا إمعانا في التمويه ومزيدا من الحيطة والحذر عنده ﷺ، كما أن الظروف التي تم فيها التحرك من الغار، كانت تتطلب الإسراع في السير وقطع المسافة بين مكة والمدينة في أقصر زمن ممكن، فالعيون تحيط بهم من كل جانب، لذلك أسرعوا لقطع المسافة في أقل زمن ممكن.

فقد روى البخاري عن أبي بكر رضى الله عنه قال: «سِرنَا ليلتين ومن الغد، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق لا يمر فيه أحد

فرفعت لنا صخرة لها ظل، لم تأت عليها الشمس فنزلنا عندها» فالسير المتواصل ليوم وليلة يباعد بينهم وبين مكة، مما يزيد فرصة نجاح الخطة، كما أن الليل يعد من أنسب الأوقات للسفر في الصحراء، إضافة إلى كونه سترة مناسبة لركب الهجرة المبارك.

ثانياً: ما قام به أبو بكر في الطريق إلى المدينة

لما كان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه معروفا عند الكثيرين لاختلافه إلى الشام بالتجارة، فهو من أكابر التجار المعروفين، كان أبو بكر يمشي خلف النبي تارة وأمامه تارة، وكلما مر بقوم يسألون من هذا الذي بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول لهم «هادي يهديني السبيل» كما يظهر من الحيطة والحذر عند أبي بكر حين خرجا من الغار في طريقهما إلى المدينة يقول عن نفسه «فضربت بصري هل أرى ظلا آوي إليه فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها، فنظرت فإذا بقية ظله فسويته لرسول الله وفرشت له فروة وقلت له: اضطجع يا رسول الله، فأضجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعي غنم، فقلت لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم فأمرته، فأعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ومعي إداوة فحلب لي قليلا من لبن، فصببت على القدح حتى برد أسفله قلت: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت، ثم

قلت: هل آن الرحيل؟ فارتحلنا..؟[1]
هنا أبو بكر الصّديق يبادر الراعي بالسؤال قبل أن يسأل الراعي من أنت؟ وما حاجتك؟ وهذه مبادرة موفقة من الصديق رضى الله عنه، وربما قصدها لمنع الراعي من أي استفسار لمعرفة شخصيته، ثم بادره مرة أخرى أن يحلب له بلفظ المفرد لا بلفظ الجمع ولم يقل احلب لنا لبنا ليوهم الراعي بأنه وحده وليس معه أحد.
أما طلبه من الراعي أن ينفض الغبار عن ضرع الشاة مخافة أن يلوث اللبن فيسبب هذا إيذاءً للنبي أو يسبب له ألما كمرض أو نحو ذلك مما قد يعوق الركب عن التقدم في سيرهم..

ثالثاً:اختيار طريق الهجرة، وعدد أفراد الركب

المتأمل في طريق الهجرة يجد أنه من أقصر الطرق الموصلة إلى المدينة ولم يكن من الطرق المألوفة، ولا يخفي ما في ذلك من الحيطة والحذر، فقِصَر الطريق يقلل من زمن الرحلة سواء أكان السير ليلاً أو نهاراً، وهذا أمر مطلوب في مثل هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، كما أن الطريق القصير لا يحتاج إلى كثير من الزاد أو حتى الإستراحة فيه بخلاف السفر الطويل وهذا ما فعله النبي ﷺ.
كما أن الطريق غير مألوف للسير فيه، وفي ذلك زيادة احتياط أمني منه ﷺ إذ غالبا ما تكون جهود الأعداء منصبة على الطريق المألوف للجميع، وربما غاب عن الباحثين وفرق الاستطلاع المعادية هذا الطريق، مما قد يترتب على هذا ندرة أو عدم المراقبة

(١) البداية والنهاية ج٣ وجوانب الحذر والحماية في السيرة النبوية ص١٦٠ وما بعدها.

لهذا الطريق، الأمر الذي يُسَهل مهمتهم في الوصول إلى بُغيتهم المطلوبة دون أن يُصيبهم أذى.

عدد الأفراد أربعة بدلاً من اثنين، إذ كان من المؤكد لدى قريش، أن عدد المهاجرين المطلوبين لديهم لا يزيد عن اثنين النبي ﷺ وصاحبه، فكل عيونها كانت تنظر بتركيز على إلقاء القبض عليهما وهما اثنين فقط، وبالتالي أي ركب يتألف من اثنين فقط فهذا هو الهدف المطلوب لديهم، لذلك ومن حكمة وتخطيط النبي أنه جعل الركب يتألف من أربعة وليس اثنين فلا شك أن هذا العدد يبعد إلى حد كبير الشبهة عن هذا الركب، وهذا حس أمني يدل على دقة التخطيط عند النبي وصاحبه ومدى معرفته وخبرته بالواقع المحيط به، كما ظهر جليّا سياسة إبعاد أي شبهة عنه ﷺ أو قد تُوصل الأعداء لمعرفته وصاحبه، ومن ثم فشل الخطة، وهذا تشريع لنا وبيان أن كلّ عمل لابد له من تخطيط وتنظيم يليق به.

ودخل النبي وصاحبه المدينة

حين دخل الرسول المدينة مر – تقريبا– على جميع بطون قبيلتي الأوس والخزرج، وكان يرد عليهم جميعا حين يطلبون منه النزول ويُمسكون بخطام ناقته، فيقول لهم «دعوها فإنها مأمورة».

ولا شك في أن مروره ﷺ ببطون الأوس والخزرج يكشف عن بعد أمني هام، كان له دوره الكبير في الحفاظ على تماسك ووحدة الجبهة الداخلية في المدينة المنورة، فأشهر سكانها كانوا من الأوس والخزرج، كما أنه كانت الحروب بينهما تقوم على أسباب واهية – وكان لليهود دور كبير فيها– فلو مر النبي بقبيلة دون الأخرى، ربما يترك هذا الفعل شيئا في النفوس، الأمر الذي يجعل اليهود يستغلون هذا الفعل لإشعال الفتنة، ويشيعون أن النبي ﷺ يفضل قبيلة على أخرى، مما يؤدي إلى وجود بغضاء أوحسد في القلوب ولو قليل، وبالتالي تقوم الحرب بينهما، ويؤدي إلى التفرق وشقّ الجبهة الداخلية عن طريق حرب أهلية في الدولة الوليدة، وحرصا منهﷺ على تفادي هذه الأمور التي قد تحدث، مر على ديار القبيلتين، وإنما جعل أمر نزوله على من سينال هذا الشرف العظيم أمرا ربانياً فقط، وليس اختياراً منه ﷺ، وهذا واضح من قوله «دعوها فإنها مأمورة» فلو كان النزول أمر من الله، فإن الجميع سيرضى به، ولن تحدث أي حساسية في نفوس من الذين لم ينزل عندهم، وبالتالي يكون الرسول بحكمته وحسن قيادته قد فَوّت الفرصة على الأعداء والتي من الممكن أن يستغلوها استغلالاً سيئاً.

لماذا اختار المسلمون الهجرة مبدأ لتاريخهم؟

لماذا كان عمر بن الخطاب هو أو مَن أرّخ بالتاريخ الإسلامي؟ ولماذا لم يعتمد المسلمون على التواريخ التي كانت سائدة في محيطهم الثقافي؟ وما الذي يعنيه هذا الاختيار؟

أما لماذا كان عمر بن الخطاب؟ «لأن ذلك ليس بعيدا عن عمر بن الخطاب إذ هو الملهم الذي نزل بعضاً من القرآن موافقاً لرأيه كما أخبر بذلك سيدنا محمد ﷺ، ولأنه المؤسس الأول لقواعد الحكم الإسلامي في مختلف المجالات، فقد تمت الفتوحات الكبرى في عهده، وهو الذي أنشأ الدواوين، ونظم القضاء، وأحكم نظام الشورى.. إلخ، حتى أن بعض المؤرخين كتب عن سيدنا عمر مائة أمر كان هو أول من اخترعها وعمل بها في عهده، لهذا فليس بعيدا على عقلية رجل مثله أن يفكر في وضع بداية تميز التاريخ الإسلامي عن غيره، ولأن هذه الخطوة تكون استكمالا للدولة التي وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه قواعد بنيانها، لكن ليس معنى هذا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذي انفرد بمثل هذا القرار، بل هو كغيره من الصحابة الذين تربوا على مبدأ الشورى في الإسلام، قد شاور الصحابة في مثل هذا القرار العظيم فكانت حصيلة الشورى اعتماد الهجرة النبوية مبدأ التاريخ الإسلامي وليس غيرها[1].

(١) مجلة الوعي الإسلامي محرم سنة ١٤٢٣ هـ ص٢٣ من مقال: (لغازي التوبة).

أما لماذا لم يعتمد المسلمون التواريخ الموجودة آنذاك؟
ببساطة شديدة لإعتزازهم بشخصيتهم الإسلامية المتميزة، وقد أسهم هذا الاعتزاز في تكوين ثلاثة أمور هي:
الأول: الإيمان بالرسالة المنوطة بهم وأنهم الأمة الوسط الشاهدة على الأمم جميعاً، خير أمة أخرجت للناس، فكيف لها أن تُؤرخ بتاريخ لا يدل على هويتها ومرجعيتها الإسلامية، والمتمثلة في قول الله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» (البقرة: ١٤٣)
والتي عبر عنها ﷺ بقوله «أنتم شهداء الله على خلقه» والتي عبر عنها ربعي بن عامر رضى الله عنه عند مواجهته لرستم قائد الفرس في قوله «نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العالمين ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة» والتي عبر عنها عمر بقوله «كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غير الإسلام أذلنا الله».
الأمر الثاني: الاعتقاد الجازم بأحقية الدين الإسلامي لقيادة الأمم وأنه آخر الأديان وأن محمداً ﷺ هو سيد الرسل وخاتمهم، وأن القرآن هو المعجزة الخالدة، ومن هنا فقد استشعروا المسئولية العظمى أمام الله ثم أمام البشرية جميعاً أن لابد من تميُز لهذه الأمة عن غيرها، فهم أهل الاستخلاف في الأرض وأنهم هم الشهداء على الأمم جميعاً.
الأمر الثالث: ميز الله المسلمون بالإسلام في عقائدهم وعبادتهم وآذانهم وصلاتهم وجميع شعائره، وهذه الميزة التي تميز بها المسلمون

إنما هي ثمرة من ثمرات تربية النبي ﷺ وهي من متطلبات الصراط المستقيم الذي يوجب مخالفة أصحاب الجحيم..

وهذه الأمور قد وَلَّدت في نفوس المسلمين ثقة في المنهج الرباني، وطاعة للقيادة، وتميّزاً في السلوك، وإحساسا بالدور التاريخي الجديد الذي يجب أن يكون من أصوله وأسسه تاريخ متميز عن كل تاريخ.

ولماذا لم يختر الصحابة مولد النبي ﷺ مبدأً للتاريخ الإسلامي؟

الراجح هنا أن هذا ما هو إلا تشريع للأمة وأن هذا كان ثمرة من ثمرات تربية النبي لهم، والتي قدم فيها ﷺ المنهج على الشخص، وتقديم الرسالة على الرسول، وقد رسخ الإسلام هذا المبدأ في نفوس أتباعه وأقرهم عليه، وذلك بأمور منها:

- أن الله قد سمّى دينهم الإسلام وليس الدين المحمدي، وليس الرسالة المحمدية وسماهم الله بالمسلمين وليس بالمحمديين، وتقديم قول النبي على فعله، وهي قاعدة أصولية تقول: (إذا تعارض القول مع الفعل يقدم القول) ومنها تأكيد القرآن الكريم على بشرية الرسول في آيات كثيرة منها قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ» (الكهف: ١١٠)، فإن تقديم الرسالة على الرسول، والمنهج على الشخص، لا يعارض بحال من الأحوال مدى تعلق المسلمين بالرسول وحبهم له حبا فاق الخيال والوصف، لذا فإن ما فعله عمر والصحابة في التأريخ بالهجرة، كانت نقلة نوعية في تاريخ البشرية لأن معظم الضلال الذي وقعت فيه الأمم التي سبقت الإسلام، أنما كان من تعظيم الأشخاص وتقديسهم، ثم وقعوا في تأليههم وعبادتهم بعد ذلك،

لهذا اختار الصحابة الهجرة النبوية وليس ميلاد النبي ﷺ هو مبدأً للتأريخ، إذن فالهجرة كانت جزءاً من حركة الرسالة على الأرض كما كانت منعطفاً مهمّاً في حياة المسلمين، نقلة مهمّة في المجتمع الإسلامي إذ نقلتهم من الاستضعاف إلى التمكين ومن الدعوة إلى الدولة،ومن الجماعة إلى الأمة.

أمّا لماذا بداية التاريخ الهجري بشهر المحرم وليس في ربيع الأول الذي تمت فيه الهجرة؟ لأن التشاور الذي تم بين الصحابة وسيدنا عمر وجدوا أن الأمور التي يمكن أن يؤرخ بها أربعة.

١- مولده ﷺ. ٢- البعثة. ٣- الهجرة ٤- الوفاة.

ففكروا فيها فوجدوا أن سنة (المولد والمبعث) لا يخلوان من النزاع في تعيينهما بدقة، كيف ذلك وهذا سيكون تاريخا فيما بعد للناس جميعا، لذا أعرضوا عن التأريخ بهما.

أما وفاته ﷺ فأعرضوا عن التأريخ بها نظرا لما تثيره من الحزن والأسى عند المسلمين، إذن فلم يبق إلا الهجرة المباركة، لأن ابتداء العزم على الهجرة إلى المدينة كان في المحرم لأن بيعة العقبة الثانية كانت في شهر ذي الحجة وهي المقدمة العظمى للهجرة النبوية، فكان أوّل هلال استهل بعد البيعة المباركة، هو هلال شهر الله المحرم مناسب أن يكون مبتدأ للتاريخ، وهذا ما مال إليه ابن حجر العسقلاني يقول» ولهذا كان أول شئ وقعت عليه من مناسبة الابتداء با لمحرم[1].

وبهذا الحدث الإداري المتميز اشتهر الفاروق رضى الله عنه في

(١) فتح الباري (جـ٧/ صـ٢٦٨) نقلا عن عمر بن الخطاب شخصيته وعصره للصلابي.

إحداث وحدة شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى في شبه الجزيرة، حيث ظهرت وحدة العقيدة بوجود دين واحد، ووحدة الأمة بإزالة الفوارق، ووحدة الاتجاه باتخاذ تاريخ واحد، كيف جاء عمر بن الخطاب بالتاريخ الهجري؟ في السنة الثالثة من خلافته جمع رضى الله عنه ـ الصحابة السابقين الأولين، وقال لهم: إن الأموال قد كثرت وما قسم منها غير مُؤقّت (أي غير محدد بتاريخ ينضبط به) فكيف التوصل إلى ما يضبط ذلك؟ فيذكر المؤرخون كالإمام الذهبي في «تاريخ الإسلام» ابن كثير في «البداية والنهاية» أنه قد رُفع إلى عمر رضى الله عنه صكٌّ من الصكوك، وكان هذا الصك موعده شعبان فسأل: أي شعبان هو؟ أهو الذي مضى؟ أم هو الذي سيأتي؟ أم الذي نحن فيه؟ أيها الناس ضعوا للناس تاريخا يعرفون به المواقيت»

وبدأ الصحابة يتشاورون في هذا الأمر، فمن قائل: اكتبوا على تاريخ الروم، وقائل: اكتبوا على تاريخ الفرس، فرفض عمر كل هذا وقال لابد أن نجعل تاريخ الإسلام بحدث من الإسلام، فأشار بعضهم أن يجعلوه مولد النبي ﷺ وبعضهم أن يجعلوه بوفاته وغير ذلك من الأراء التي طرحها الصحابة، فاشار على بن أبي طالب بأن يجعله خروج النبي من مكة للمدينة، فاستحسن هذ الرأي الخليفة عمر بن الخطاب وسائر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين[1].

(١) مجلة الوعي الإسلامي محرم سنة ١٣٩هـ للأستاذ/ عبدالله الكبير.

بين التاريخ الهجرى والميلادى

التقويم الهجري: هو جزء أساسي من تكوين الشخصية الإسلامية، وقد كان التاريخ الهجري هوالتاريخ الفرد الذي نسجل به وقائعنا، ونثبت به أحداثنا، ونرتب عليه شئوننا ردحاً طويلا من الزمن، حتى زاحمه التاريخ الإفرنجي وزحزحه عن مكانته بسبب تقصير المسلمين فيه، حتى صار في حياتنا أمراً ثانوياً، لكن التقويم القمرى وهو السنة القمرية والتي أخذ منها العرب تقويمهم الذى ارتبط بهم على مدار التاريخ، والعرب حينما استخدموا هذا التقويم لم يصبغوه بأساطيرهم، ولم يلطخوه بخرافاتهم، ولم يدنسوه بأسماء آلهتهم الوثنية ولم يخضعوا عدة الشهور لأهوائهم وأمزجتهم كما فعل غيرهم بتقويمهم، ويعدّ التقويم العربى أصح التقاويم وأقومها وأضبطها وأكثرها اعتماداً على السنن الكونية.

ومن هنا كان اعتماد الإسلام على هذا التقويم دون غيره من التقاويم الأخرى، ويكفيه أن الله يقول فيه، «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ « (التوبة:٣٦)

الإستعمار والتقويم الهجرى

كان التاريخ الهجرى جزءاً أصيلاً من الشخصية الإسلامية، حتى جاء الاستخراب الغربي حاملاً معه حضارته المسيحية بكل أسسها ومكوناتها، والتاريخ الشمسى جزء أساسى من هذه الحضارة، ولما نجح الاستخراب في فرض حضارته على العالم الإسلامي، أدخل معه التقويم الميلادى ليصبح جزءاً أساسياً من نسيج الحياة اليومية في البلاد الإسلامية، ولم يترك للتقويم الهجرى إلا زاوية صغيرة جداً من اهتمام الفرد المسلم، حتى لم يعد يهمه من أمر هذا التقويم إلا بداية شهر الصوم ونهايته، وبداية شهر ذى الحجة، وحتى هذه الزاوية الصغيرة لعبت بها الأهواء السياسية والنزعات الفردية، والجدل العقيم بين أنصار الرؤية البصرية أو أنصار الحساب الفلكي العلمي، والذي يتجدد كل عام مع شهر الصوم أو الوقوف بعرفة، كل ذلك دون إضافة علمية واحدة، ودون محاولة لتقريب وجهات النظر التي يبدو أنها مختلفة اختلاف تنوع وليس تضاد.

إن المسلمين اليوم أصبحوا في ظل سيادة الحضارة الغربية المسيحية يمجدون آلهة الرومان الأسطورية، عندما يحتفلون برأس السنة الميلادية احتفالاً لا تكاد تفرق بينه وبين احتفالات الأوربيين في نفس الليلة، وأصبحوا يُمجدّون بعض قادة الرومان بترديد أسمائهم دون وعى، بعد أن أصبحت جزءاً من نسيج الشهور الشمسية، وأصبحوا يمجدون الأساطير والخرافات، وتحكمت النزعات والأهواء

حينما يعتمدون في تقويمهم على شهور لا يعرفون سببا لبدايتها ولا علّة لنهايتها، ولا مبرراً لاختلاف عدد أيامها، ويتمسكون بمنهج لاسند له من العلم ولا من اليقين في كثير جوانبه[1].

إن العالم الإسلامي مطالب بأن يعود إلى التاريخ الذي رضيه الله ورسوله لنا، والذى ارتبطت به الأحداث الكبرى والصغرى في تاريخ الإسلام كبدر وأحد والخندق ووفاة الرسول والفتوحات الإسلامية وغيرها، والذى ثبت أنه أنقى وأدق تقويم عرفته البشرية[2]

من فضائل الأنصار

قال: الله تعالى: «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» (سورة الحشر:٩)

وعن البَرَاء رضى الله عنه قال: قال: ﷺ»الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله» رواه الشيخان.

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال: ﷺ «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» وعنه قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فخلا بها وقال «والذى نفسى بيده إنكم لأحب الناس إليّ « ثلاث مرات. رواه الشيخان.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: لو أن الأنصار

---

(١) خطب الغزالى جـ٢

(٢) بتصرف من مقال: للأستاذ عبده زايد مجلة الدعوة.

سلكوا وادياً أو شعباً، لسلكت في وادى الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار» رواه البخارى.

وعن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار» رواه مسلم

فرضي الله عن الأنصار وجميع الصحابة وجزاهم عما قدموا للإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وبعد

فهذه بعض ملامح من اليقظة والحذر، ووسائل الحماية للدعوة الإسلامية وتأمينها في الهجرة النبوية المباركة، في هذه الرحلة الشاقة الصعبة المليئة بالصعوبات، وذلك للاقتداء بالمصطفى ﷺ في كل ما يفعله فهذا ليس للتسلي أو للحكايات ولكن للتأسي به، وتشريع لنا لنعلم أن دعوة الإسلام لا تقوم على الكُسالى، وأن طريق الدعوة إلى الله ليس مفروش بالورود.

«فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (الأعراف:١٧٦)

«وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ» (يوسف: ٢١).

ولله الحمد أولا وآخراً فهو وحده الذي أعان على هذا، وأسأل الله سبحانه الإخلاص والقبول في الدنيا والآخرة، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه.

ولا ينساني كل من وقع في يده هذا الكتاب المتواضع من دعوة صالحة بظهر الغيب، وأن يغض الطرف عما فيه من الزلل والخطأ

وأن يصحح ما يراه قدر المستطاع فإنما هو جهد بشري يعتريه ما يعتري أي عمل من النقص. سبحانك اللهم وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك.

وما من كاتبٍ إلا سيفنى ويُبقَى الدَّهرُ ما كتبت يداهُ
فلا تكتب بخطك غير شيءٍ يَسُرّك في القيامة أن تراهُ

وكتبه
عبد الجواد بن عبد المولى آل موسى السيوطي
أبو محمود
أسيوط – ديروط – نجع سويلم

الفهرست

تقديم أول ٩
تقديم ثانٍ ١٧
مقدمة المؤلف ١٩
الهجرة ٢٢
دقة التخطيط ٢٥
نبوءة تتحقق ٢٨
العمل لتحقيق الهدف ٣٣
علاقة المسلم بربه «بناء المسجد» ٣٤
علاقة المسلم بالمسلم (المؤاخاة) ٣٧
علاقة المسلم بغير المسلم (المعاهدة) ٤٠
لابد للحق من قوة تحميه ٤٣
تكوين الفرد المسلم ٤٤
لماذا الهجرة؟ ٤٧
الإقبال على الإسلام بروح عالية ٥٠
ليس الضعفاء فقط ٥٢
الهجرة سُنّة من سنن الأنبياء ٥٤
تنوّع أساليب محاربة الدعوة ٥٧
من ودواعي الهجرة ٦٠
الحزن وتضرب له الأمثلة من واقع إخوانه من المرسلين السابقين، ٦٠
إيذاؤهم للنبي وحفظ الله له ٦١
كذلك أُوذيَ الصحابة ٦٤
من دواعي الهجرة الحصار في شعب أبي طالب ٦٧
القيم التربوية المستفادة ٧٠
من دواعي الهجرة وفاة عمه وزوجته ٧٣

إعراض أهل الطائف وغيرهم عن الإسلام ٧٤
من أهم أسباب الهجرة إسلام أهل المدينة ٧٦
(الهجرة) إعدادٌ وتخطيطٌ وتربية ٨٢
أساليبهم لمنع المهاجرين ٨٥
لماذا المدينة دون غيرها؟ ٨٧
التخطيط للهجرة ٩٢
من مظاهر النجاح في الهجرة ١١٠
الهجرة النبوية دروسٌ ومواقف ١١٧
فن قيادة الأرواح والتعامل مع النفوس ١١٩
أمانة الداعي ١٢٠
من أهم دروس الهجرة ١٢١
قيادة حكيمة وجنود مخلصون ١٢٣
دروس وعبر من الهجرة ١٢٤
الاحتياطيات الأمنية من الجانبين ١٢٨
الترتيبات الوقائية من النبي ﷺ ١٣٥
من جوانب الحذر والحماية في رحلة الهجرة ١٣٧
جوانب الحذر والحماية عند أبي بكر ١٤٤
مع ركب الهجرة من الدار حتى الغار ١٤٨
لماذا أقاموا ثلاثة أيام في الغار؟ ١٥٨
مع الصاحبان من الغار إلى المدينة ١٦٠
ودخل النبي وصاحبه المدينة ١٦٤
لماذا اختار المسلمون الهجرة مبدأ لتاريخهم؟ ١٦٥
بين التاريخ الهجري والميلادي ١٧٠
الإستعمار والتقويم الهجرى ١٧١
وبعد ١٧٤

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية، وبدون تكلفة مالية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر
مصرية مغربية، تأسست في مايو ٢٠١٧

إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
وأحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة
١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً

حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض
نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين
نساء وقيود
الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري الشقاء
كتبتُ أحبك
فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا
الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
بردية رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا

مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سئمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار
وأد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب
الضحية
غيمات حبر وحب
كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
كريتوس
عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك

أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف
زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا
خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال
التقارير المالية
موسم التوت
عبث
سلسلة المحاسب المتميز (ج١)
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات

الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن
زمان غادرنا
رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خِدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة (قضية رأي عام)
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب
الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجومانجي
نموذج بايبي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين
حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب ج١
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ
فضفضة

الراقدون فوق التراب ج٢
بائعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو
مناجاة
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس
أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
أخرى بضم الألف
اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة

مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كارتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف
فوق السحاب
كلمات الحياة
إعصار الدم
العشق المنتظر
إيزيس
بذور الدم
حديث إلى النفس
موشور اللا متناهية

عن الكاتب

عبد الجواد أحمد عبد المولى آل موسى السيوطي، كاتب ومفكر مصري من مواليد أسيوط عام ١٩٧٥، حاصل على ليسانس أصول الدين والدعوة والشريعة الإسلامية جامعة الأزهر، وماجستير علوم القرآن جامعة القرآن وتأصيل العلوم.

– مدرس قرآن كريم وتربية إسلامية للمرحلتين الإعدادية والثانوية مدة سبع سنوات بالأزهر الشريف.

– عضو مقرأة بوزارة الأوقاف المصرية منذ عام ١٩٩٨.

– مؤسس لقسم القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية القيرغيزية بجمهورية قرغيزستان الإسلامية، وتخرج على يديه عدد من حفظة القرآن بها.

– مدرس للمواد الشرعية والتاريخ الإسلامي بالجامعة الإسلامية القيرغيزية بجمهورية قرغيزستان الإسلامية.

– محفظ للقرآن الكريم بمدرسة تابعة لوزارة الأوقاف المصرية منذ عام ١٩٩٨.

– إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية منذ عام ٢٠٠٣.

– دراسات عليا بكلية الشريعة قسم أصول الفقه (تمهيدي ماجستير)

– رئيس لجنة التحكيم بالمسابقة الدولية للقرآن الكريم بجمهوريات وسط آسيا لسنتي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩.

– حاصل علي أكثر من شهادة تقدير من مفتي الجمهورية وأكثر من

مسئول حكومي في مجال خدمة القرآن بجمهورية قرغيزستان الإسلامية.

– عمل منسقاً تعليمياً بمكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي بدولة قرغيزستان بوسط آسيا.

– مدرس للقرآن الكريم وعلومه بجمعية الليث الخيرية بمنطقة مكة المكرمة ٢٠١٠، ٢٠١١م.

– عمل مدرساً بمعهد القرآن والقراءات بالجمعية الشرعية ببرج العرب.

– يعمل الآن مشرفاً على حلقات مكتب تحفيظ القرآن الكريم بمستورة بالجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة رابغ /المملكة العربية السعودية.

للتواصل مع الكاتب

ahlElkurah@yahoo.com

شركة لوتس للإنتاج والتوزيع

كتاب لوتس - مشروع النشر الحر

www.lotusfreepub.com

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٦٤٨٠ / ٢٠١٧

غير مخصص للتوزيع التجاري - يوزع بسعر تكلفة طباعته فقط

يجوز نشر هذا الكتاب إلكترونيا مجاناً بعد عام من تاريخ صدوره
بعد موافقة الكاتب

مرخص أيضاً بموجب رخصة المشاع الإبداعي - نَسب المُصنَّف ٤,٠ دولي